مفتاح كنوز الاسماء و الذخاير
في
تفسير آية الكرسي

مؤلّف:

شهاب الدين احمد بن هلال

تحقيق:

حيدر شريفيان

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدمه تصحیح

مؤلّف

اثر وزین منسوب به **شیخ شهاب الدین احمد بن هلال** عارف است. و ظاهراً از عالمان قرن ۹ هجری است.[۱] از دیگر خصائص و ویژگی ها مانند تولد و وفات و آثار و اساتید و شاگردان او اثری در دست نیست. و در کتب تراجم به بیش از این مسأله به آن اشاره نشده است. فقط به یک اثر برای وی در *اعیان الشیعه*[۲] اشاره شده است که همان رساله حاضر یعنی تفسیر شریف آیة الکرسی موصوف به *مفتاح الکنوز الاسماء والذخائر* است. که اجمالی از آن برای شما بازگو می شود:

رساله حاضر

این اثر شریف تفسیر عرفانی و علمی است.

این اثر شریف گرچه تفسیری عرفانی محسوب می شود اما از منقول، لغت، صرف و نحو نیز تهی نمی باشد. در قسمتهای اولیه آن پس از مقدمه ای بسیار اندک به فضائل آن اشارت دارد و آنگاه به مباحثی لغوی، صرفی و نحوی نیز نیم نگاهی دارد که البته در این مختصر نیز عمق نگاه ایشان و فضل و حیطه علمی او هویدا است از کسانی چون سیبویه، برد فراء و... بهره گرفته است.

---

۱. *أعیان الشیعه*، ج۳، ص ۲۰۰؛ *فهرست کتب خطی کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی*، ج۲۲، ص ۴۲۵ و ۴۲۴.

۲. همان.

وپس از بحثی از اشتقاق و عدم اشتقاق کلمه «الله» شروع مباحث عرفانی آن از اقسام خلق است . و به مباحثی دیگر چون ماهیت اسم اعظم و اقسام اسم و اینکه هر موجودی مستند به یک اسم الهی است و اسم اعظم او همان اسم است . می‌پردازد و در فصلی با عنوان لایحه به مفردات کلمه «الله»و اشارات عرفانی آن مطلب را ادامه می‌دهد .

سپس تفسیر «لا اله الا هو»و مفردات آن می‌نشیند و سپس بحثی لغوی و حرفی و نحوی به بحث کلامی در این فقره دامن می‌زند که الهیات ثلاث در این جمله شریفه متجمعی شده است . توحید ذات توحید صفات افعال . و به بسط سخن در این وادی با ذکر مقدماتی می‌پردازد . ایشان در قسمتی از این بحث مبسوط ، توحید را دارای مراتبی می‌داند و در کمترین مرتبه توحید اقرار به وحدانیت خداوند مطرح است که با آن ترک اعظم از انسان دور می‌شود که همان توحید تقلیدی است . و دیگر توحید استدلالی . که این هم ملحق به همان توحید قسم اول است با کمی تحقیقات . و یک قسم دیگر است به نام توحید خواص که در آن به توحید افعال و توحید صفات پرداخته می‌شود و یک قسم هم توحید خاصة الخاصه . مختص او حدی از افراد است .

پس از آن تفسیر ﴿**الحیّ القیّوم**﴾را رقم می‌زند باز با همان دأب سابق . که از همین مختصر ، به دأب و روش تفسیری ایشان می‌توان رسید . که دأب ایشان چنین بوده که اولاً اصل تفسیر و به عبارتی مشرب و روش تفسیری ایشان عرفانی و فلسفی است . و برای این مهم البته ابتدا برای تفسیر هر جزء یا فقره‌ای ، از لغت ، صرف و نحو نیز بهره گرفته و سپس به مباحث فلسفی کلامی و عرفانی آن می‌رسد و گاه هم از کشف و شهود و بیان سرّ هم سخنی به میان می‌آورد .

برای نمونه در بحث«قیوم»می‌نویسد : «لو قیل بأنّ القیوم هو امام الائمة لما کان بعیداً» و بر این مطلب خودش نیز برهان اقامه می‌کند و می‌آورد : «ما اظن احداً من اهل الله سبقنی إلی هذا الکتاب»کشف را مختصر به خودش می‌داند .

بحث وقتی به لفظ(کرسی)و حقیقت آن می‌رسد نسبتاً مفصلتر است و پس یک بحث طولانی به این می‌رسد که کرسی همان علم است . و باز از مکشوفات والهامات خود در این بحث می‌آورد که خداوند به حسب کمیت کراسی دارد که آن کراسی همان کلیات عوالمند . و هر عالَمی نیز یک کرسی است .

در مباحث پایانی این رساله وزین به«سبب شرافت آیة الکرسی»اشاره می کند و در آن می فرماید جهت آن آیه این است که : ۲۱ اسم از اسماء الهی در آن آمده است .

و البته ایشان فقط همان آیه اول از ۳ آیه را آیة الکرسی می داند .

تحقیق این رساله براساس تنها نسخه موجود در فهرست کتب خطی کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی با شماره عمومی ۷۹/۳ انجام گرفته است . این نسخه با خط نسخ ، و کاتب آن تاج الدین بن محمد بن حمزه بن زهرة الحسینی الفوعی است تاریخ کتابت ، دوشنبه سوم رجب / ۸۹۲ است .

والسلام

حیدر شریفیان

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله الأوّل ببطونه الآخر بظهوره والصلاة على قطب أقطاب الدوائر ووارث علم الأوائل والأواخر محمّد وآله وصحبه **مفتاح كنوز الأسماء والذخائر**.

أما بعد: سنح لي أن أفسّر أعظم آية في القرآن تفسيراً مشتملاً على الظهور والبطون يقتبس منه أهل الظاهر والرسم ويتحقق به أهل الباطن والكشف.

[فضائل آية الكرسي]

عن أبي بن كعب ـ رحمه الله ـ قال:

قال: قال رسول اللهﷺ يوماً لأبي المنذر، أيّ آية من كتاب الله أعظم قلت: الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم؛ فقال: فضرب في صدري وقال: ليهنک العلم فهوالذي نفسي بيده أنّ لهذه الآية للساناً وشفتين، تقدّس الملک عند ساق العرش.[2]

قال رضي الله عنه: «قال الله: يا موسي من قرأ آية الكرسي في دبر كلّ صلاة أعطيته ثواب الأنبياء»[3] معناه، تشبيه الثواب بالثواب في أصل الكمّية باعتبار العمل لا من جهة النبوّة؛ إذ ليست لأحد سوي الأنبياء؛ لأنّه إذا قيل لأمرين، أحدهما هو الأخر، كان معناه أنّهما اتحدا في أمرٍ ذاتيّ. والمناسب ها هنا الاتحاد في أمرعرضي وليس سوي مقولة الكمّ.

والأحاديث في هذا المعني كثيرة فلا حاجة إلى الإطالة.

---

١. شهاب الدين احمد بن هلال، له *تفسير آية الكرسي* عرفاني، مبسوط سماه *مفتاح كنوز الأسماء*، كتبها في ٣ رجب سنة ٨٩٢(*اعيان الشيعة*، ج ٣، ص ٢٠٠).

٢. صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٩٩؛ *سنن أبي داود*، السجستاني، ج ١، ص ٣٢٩/ ١٤٦٠؛ *المستدرک للحاکم*، ج ٣، ص ٣٠٤. *تفسير القرطبي*، ص ٣؛ *الدر المنثور*، ج ١، ص ٣٢٣؛ *مجمع البيان*، ج ٢، ص ١٥٧؛ *تفسير أبي الفتوح الرازي*، ج ١، ص ٤٣٨.

٣. *تفسير القرطبي*، ج ٣، ص ٢٧؛ *الدر المنثور*، ج ١، ص ٣٢٣.

[تفسير آية الكرسي والقول في كلمة«الله»]

فلنشرع فيما هو المقصود : «الله» ، مبتدأ ؛ هذا الإسم أشهر أسماء الربّ .

وأعلم أنّهم اختلفوا في لفظ الجلالة أنّه عربي أم عبراني أم سرياني ، فذهب بعضهم إلى أنّه عبري أو سرياني ليس بعربي وهذا القول يتلاشا عند التحقيق[1] وذهب الباقون إلى أنّه عربي . والقائلون بأنّه عربي اختلفوا في أنّه عَلَم أو صفة ، فذهب المعظم والأكثر إلى أنّه عَلَم . وذهب قليل منهم إلى أنّه صفة . والقائلون بأنّه عَلَم ، اختلفوا في أنّه مشتق أم لا ؛ وهذا يبتني على أنّه أصل آخر وهو أنّه عَلَم ، وضع ابتداءاً ارتجالاً أو وضع من أصل آخر من غير ارتجال ، فعلى أنّه وضع ارتجالا من غير أصل لا اشتقاق فيه ، فتكون الألف واللام جزءاً من الكلمة ؛ وعلى أنّه وضع من أصل يحتمل أن يكون مشتقاً وأن لا يكون ؛ لأنّ الأصل إن كان مشتقاً فهو مشتق وإن كان غير مشتق فليس بمشتق ، فعلى القول بأنّه أخذ من أصل فإذاً أصله قلنا فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو أحد قولي سيبويه : أنّ أصله«إله»على وزن فعال كإمام وكتاب من«إلَه» بفتح اللام ، الهه إذا عَبَدَ عبادة . ومنه قراءة ابن عباس«ويذرك والهتك أي وعبادتك»ثم أدخلت عليه الألف واللام تحفيقاً قياساً على قول واحتياطاً على آخر ، حذفهما ونقلت حركة الهمزة إلى حركة لام التعريف بعد حذفهما ، فكان بدخول الألف واللام «الإلاه»و صار«اللاه»بلامين متحركين فسكنت الأولي وأُدغمت في الثانية ليسهل التفوه به ؛ فقيل : «الله» فقال : الوازن هي الهمزة وعينه اللام ولامه الهاء والألف اللام الزايدة . وفعال ها هنا بمعني مفعول«أله»بمعني مالوه كإمام بمعني موتم به .

والقول الثاني : أنّ أصله«لاه»على وزن فعل كجارودار«الوه»كجورودور ، فقلبت الواو وألفاً ، ثم أدخلت الألف واللام . وهذا هو قول المبرد ،[2] والفراء ،[3] وقول[4] سيبويه الأخر .

---

١ . نقله الرازي في *تفسيرالكبير* ، ج١ ، ص١٦٣ في المباحث المتعلّقة بقولنا (الله) ، المسألة الثالثة .
تفسير القرآن ، صدر المتألهين ، ج٤ ، ص٢٦ .
وأيضاً قال الحكليم : وقد أخذ من إحدى اللغات غير العربية كالعبرية أو الساقية حيث كان أصله : «لاه»مثلاً ثم حوّر بعد إدخال الألف واللام عليه راجع : *تفسير سورة الحمد* ، محمد باقر الحكيم ، ص١٥٤ .

٢ . نقله ابن منظور في *لسان العرب* ، ج١ ، ص١٨٨ ـ ١٩٠ .

٣ . نقله ابن منظور في *لسان العرب* ، ج١ ، ص١٨٨ ـ ١٩٠ .

٤ . *الكتاب* ، ج١ ، ص٣٧٨ و٣٤٣ ؛ ونقله ابن منظور في *لسان العرب* ، ج١ ، ص١٨٨ ـ ١٩٠ .

والقول الثالث : [1] أنّ أصلها الكناية ؛ لأن الخلق مفطورون ومطبعون على الشهادة بأنّ لهم موجوداً صانعاً ولم يعرفون له إسماً فعند الإلتجاء في الشدايد والتضرع إلى الخالق ؛ أشاروا إليه بهو ؛ إذ لم يعلموا له إسماً ، ثم أدخلوا عليه لام الملک فصار «له» ثم مد الصوت باللام تفخيماً وتعظيماً فصار «لاه» وأدخلوا عليه الألف واللام فصار «الله» .

والقائلون بالاشتقاق ، قيل : اشتقاقه [2] من «إلهٌ» إذا عبد فهو مالوه ومعبود ومن «إله» إذا سكن ، من ألهتُ إلى فلأن ، أي سكنت إليه ؛ فإن العقول لا تسكن إلاّ بالعكوف على حضرة بارئها والأرواح لاتأنس وتستقر إلاّ بمشاهدة مبدعها ومبديها ؛

أو من «إله» إذا تحير [3] فيه ولم يهتد إليه ؛ فالأوهام خاسية ، متحيرة ، منقطعة عن الوصول إلى مدارج الصمدانية ؛ والعقول ناهية ، متحيرة في بيداء الوحدانية والأرواح مستغرقة ، مندهشة بأنوار الفردانية ؛

أو من «وله الفصيل» إذا ولع بامّه ؛ فإن العباد مولوعون بالتضرّع إليه في كل الأحوال ، والعقول مولعة بالترقي إلى مشاهدة أنس الجمال ؛

أو من «وله الرجل» إذا فزع [4] من أمرٍ نزل به ؛ فالخلائق يهرعون إلى حضرة الواحد القهار من نازلة أحدقت بهم ونائبة أخذت بنواصيهم ، فهم في ذلك كله قد فزعوا إلى الحق في كشف نوايب الدهر ومصايب الكائنات ؛

أو من «الوله» وهو الحيرة [5] وذهاب العقل من شدة الوجد . ومنه «ناقة والهة» إذا اشتد وجدها على ولدها ؛

[اقسام الخلق]

فالخلق على قسمين : منقطع وواصل . والواصل على قسمين : واصل بساحل بحر المعرفة وواصل قد ركب لجج تيار بحارها ؛ فالمنقطع ، متحير ، ذاهب عقله لفقدان معروفه والظلمات العايقة له عن الوصول ولحجب المانعة عن اللحوق ، والواصل الواقف بالساحل ،

---

١ . *شرح الأسماء الحسنى* . سبزواري ، ج ٢ ، ص٣ . (البته ممكن است هادى سبزوارى متأخراز احمد از هلال باشد؟)
٢ . معجم *مقايس اللغه* ، ج١ ، ص١٢٧ .
٣ . *النهاية* ، ابن اثير ، ج١ ، ص٦٢ ؛ ونقله أيضاً *لسان العرب* ، ج١ ، ص١٩٠ .
٤ . *الصحاح* ، ج٦ ، ص٢٢٢٣ ؛ *مفردات راغب* ، ص٢١ ؛ *تاج العروس* ، ج٩ ، ص٣٧٥ ؛ ونقله أيضاً *لسان العرب* ، ج١ ، ص ١٩٠ .
٥ . نقله *مفردات راغب* : *تاج العروس* ، ج ٩ ، ص٣٨٢٢ .

متحير، مبهوت ذاهل لبه لعظمة ما شاهد من سبحات جلال بحار المعرفة

واما الواصل الذي قدر ركب اللجة، فهو قد أخذ منه واستوصل واصطلم فلا عقل ولا وجود بل هو قائم بسرّ الفردانية ونور الواحدانية، مشاهد حضرة ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾ (غافر (۴۰): ۱۶)

أو من «لاه يلوه»[1] وهذا المعني يحتمل وجهين:

أحدهما، من «لاه» إذا ارتفع فإن الحق تبارک وتعالي عال مرتفع بعظمته وجلاله عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات وعن أن تلحقه الأوهام والحواسّ بإدراكاتها؛ فسبحان من ارتفع واختفي بشدة ظهوره واستتر بكمال نوره.

والثاني؛ من «لاه يلوه» إذا احتجب، فالحق مجتجب على الخلائق بأنوار سبحات وجهه الباقي، فالأوهام لا تلحقه، والحواسّ لا تدركه، والعقول قاصرةٌ قاطنة التقديس والتسبيح، والأرواح والأسرار مدفوعة محتجبة بأنوار العزة.

ومن الناس[2] من ذهب إلى أنّ هذا الإسم كان في أصله وصفاً، ثم أجري مجري الاعلام لتقابل الأدلة من الجانبين، أعني: القائلين بالعَلَمية والقائلين بالوصفية «كالنجم» للثريا؛ فإنّه اسم لكلّ كوكب، ثم غلب استعماله و«السنة» للقحط و«البيت» للكعبة و«الكتاب» لكتاب سيبويه.

هذا تحرير المذاهب في هذا الإسم، أعني: الجلالة، من حيث كونه عربياً أو غير عربي، علما أو صفة، مشتقاً أو غير مشتق على وجه الإيجاز والاختصار.

إذا عرفت هذا؛ فهذا الإسم، عَلَم لذات الحق، واجب الوجود، الجامع لجميع الصفات الالهية والنعوت الربانية، المنفرد بالوجود الحقيقي؛ فإنّ كل موجود سواه غير مستحق للوجود بذاته وإنّما استفاد الوجود منه، فهو من حيث ذاته هالك. ومن الجهة التي تليه موجود، فكل موجود هالک إلاّ وجهه. وهو آخر الظواهر والأسماء وأول البواطن منها، وكل الأسماء داخلة في دائرة هذا الإسم وهو جامع لحضرات الأسماء كلّها.

[في ماهية اسم الاعظم]

واعلم أنّهم اختلفوا في هذا الإسم، هل هو الإسم الأعظم أم لا؛ فنقول: اختلف الناس

---

۱. *كنز الدقائق*، ج۱، ص۳۸؛ انظر *البحر المحيط*، ج۱، ص۱۴ ـ ۱۵؛ *تفسير الكبير*، ج ۱، ص ۱۶۰.
۲. *كتاب العين*، ج۴، ص۹۱.

في الإسم الأعظم ؛

فمنهم : من ذهب إلى أنّ الإسم الأعظم ليس معيناً ؛ بل كلّ شخص إذا دعي بإسم من الأسماء ، اسماً للحق ملتجئاً على وجه الإخلاص والافتقار ، كان ذلك الإسم في حق ذلك الشخص هو الإسم الأعظم ؛

ومنهم : من ذهب إلى أنّه غير معلوم للخلق ؛ بل هو مخفي كاخفاء ليلة القدر والصلاة الوسطي على قول .

والقائلون بأنّه معلوم للخلق ، اختلفوا في تعيينه ؛ فمنهم : من ذهب إلى أنه «هو» ومنهم : من ذهب إلى أنّه لفظة الجلالة [1] ومنهم : من ذهب إلى أنّه «**الحى القيوم**» ومنهم : من ذهب إلى أنّه «ذو الجلال والإكرام» [2] ومنهم : من ذهب إلى أنّه المذكور في أوائل السور من ﴿**ألم**﴾ ، ﴿**ألمص**﴾ وغير ذلک من الحروف المقطعة في أوائل السور ؛ [3] ومنهم : من ذهب إلى أنّه «يا مبديء يا معيد يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشک وبقدرتك الذي اقتدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كلّ شيء لا إله إلاّ أنت أغثني يا مغيث» على ما ذكره الاستاذ أبو القاسم القشيري في رسالة من حكاية التاجر مرفوعة إلى النبي ﷺ ؛ [4]

ومن ذهب إلى أنّه غير معين ؛ قال :

> الحكمة في إخفائه ، ليجتهد العبد في تطلبه وفي الدعاء بكل اسم للحق ، لقيام الإحتمال عند من يدعوا الحق إن كان إسم من أسماء الله ، ربما كان هو الإسم الأعظم ؛ إذ الفرض أنّه غير معين للخلق ، فلا تزال الدواعي متوفرة على التطلب جاثةً على التعلق بكلّ إسم من أسماء الحق وليس كذلك إذا كان معيناً ؛ فإنّ النفس تسكن عند التعلق بذلك المعين .

والذي يظهر لي من حيث قلم الظاهر ، أن يقال : إن قلنا ، أنّ ذاته تعالي وحقيقته لا يمكن أن تعلم للبشر ، فالإسم الأعظم ما هو بازاء الذات من حيث هي هي ، فيحتمل حينئذ أن يقال : إن إسم الأعظم استأثر الله بعلمه ولم يبرزه للخلائق لعدم معرفتهم بحقيقة ذاته

---

۱ . *مهج الدعوات* ، ص ۳۱۶ ؛ *جامع البيان* ، ج ۲۸ ، ص ۷۲ / ۲۶۲۹۱ ؛ *تفسير قرطبي* ، ج ۱۸ ، ص ۴۹ ؛ *تفسير ابن كثير* ، ج ۱ ، ص ۲۰ ؛ *الدر المنثور* ، ج ۱ ، ص ۹ .

۲ . *الترمذي* باب ۹۲ ، ج ۵ / ۵۳۹ ؛ *مسند احمد* ، ج ۴ ، ص ۱۷۷ ؛ هذا كلام المجاهد و مقاتل راجع *تفسير طبري* ، ج ۹ ، ص ۵۲۳ ؛ *جوامع الجامع* ، ج ۲ ، ص ۷۱۱ .

۳ . راجع . *تفسير قمي* ، ج ۱ ، ص ۳۰ ؛ ص ۳۰۸ ؛ ج ۲ ، ص ۱۱۸ و ۲۶۷ و ۲۸۰ ؛ *والتبيان* ، ج ۱ ، ص ۴۷ ؛ عن السدي واسماعيل والثعبي ، *تفسير صافي* ، ج ۱ ، ص ۹۰ ؛ *تفسير نور الثقلين* ، ج ۲ ، ص ۲۹ / ۵ .

۴ . واعثر عليه و لكن نقله ابن أبي الدنيا في كتاب *الهواتف* ، ص ۲۳ ؛ *أسد الغابة* ، ج ۵ ، ص ۳۰۲ في ذكر ب د ع س .

عزّوجلّ المختصة بالإسم الأعظم، وما لم يعلم، لا يهتدي تمييزه وتعيينه باسم لعدم شعور الذهن به.

ويحتمل أن يقال: أنّ البركة بالتلفظ به والتعبد بذكره وإيجاد الخواص المترتبة عند إجرائه على اللسان ولظهور عجز البشر عن الوصول إلى أنوار سبحات الوجه الباقي تقدست أسماؤه وتعالت صفاته.

وإن قلنا: إنّ ذاته يمكن أن يكون معلومة للبشر، احتمل أن ينور بعض قلوب عباده ويجعله مستعداً لفيضان أنوار كماله فيطلعه على الإسم المختصّ بحقيقة الذات، فيظهر بذالك بين العباد فيصير بذلک معيناً بين الخلائق. واحتمل أن لا يطلع عليه أحد ويظهره للخلائق من غير اطلاع عليه، فيكون غير معين. ويحتمل أن يستأثر الله بعلمه. وهو التحقيق من أعلا ما يكون بحسب الظاهر.

وأمّا بحسب الباطن، فالإسم الإعظم، إنّما يكون بحسب مراتب الألوهية ومراتب الصفات ومراتب الأفعال؛ وأمّا محض الذات وغيب الهوية التي هي غيب الغيوب، فليس هناک اسم. وهذا شهود الكمّل من عباد الله، وليس هذا موضع تحقيق هذا المقام؛ إذ لوكان البحر مداداً لنفد قبل أن تنفد شواهد.

[اقسام الاسم]

إذا عرفت أنّ الإسم إنّما يكون بحسب مراتب الألوهية والصفات والأفعال فاعلم: أنّ من الأسماء ما لا يطلع عليه إلاّ الأكابر من المحقّقين، اللابسين خلع الأكملية. وهذه الأسماء لا يمكن النطق بها ولا التفلظ؛ إذ تلك العبارة تحتها بمراتب، ولا يطلعون عليها أحداً من خلق الله تعالي؛ من اطّلع عليها صارت سراً مخزوناً، وإنّما كان الأمر على هذا الوجه لأسرار يعرفها أهلها، وما عدا هذه الأسماء فهو على قسمين:

قسم، يدخل تحت اللفظ والكتابة، وقسم، لا يدخل تحت شيء من شؤون الألوهية. وفي مراتب الصفات، الإسم الأعظم هو: «الحي» و«العليم» وفي مراتب الأفعال: «القادر» و«المريد» أو «القدير».

[هاهنا شئ]

وها هنا شيء، ينبغي أن أتنبّه لـه وهو: أنّ كلّ شخص من المـوجودات، له اسم إلهـي يستند إليه وهو في حقه، الإسم الأعظم. وعلى هذا التحقيق، تحمل جميع الأخبار الواردة بتنوع الإسم الأعظم وتعدّده. ويعلم الإسم الأعظم بالإطلاق والأعظم على سبيل الإضافة وكون الإسم الأعظم واحداً ومتعدداً، فإنّهم ما نبهناك عليه ترشد.

وأمّا القسم الذي لا يدخل تحت العبـارة، فالإسم الأعظم هو العبد الكامـل والإنسان الكلّي الجامع لحقائق الكلّية والتجلّيات الإلهية الكلّية التي منها، تفيض التجليات الجزئية، صاحب نقطة الاعتدال الحقيقي، الجامع بين الجمع والتفصيل الظهور والبطون والإطلاق والتقييد؛ لأن الإسم فيه، دلالة على المسمّي وتعريف له سويّ، اشتق من السمة أو السموّ. وذات هذا العبد وشؤونه في تعريف الحقّ والدلالة عليه، أتمّ دلالة وأكمل تعريفا من ساير الموجودات؛ إذ هو مظهر الإسم الأعظم في عالم الظهور والبطون، فالإسم الإعظم حينئذٍ على الإطلاق، هو خاتم المرسلين؛ لأنّه قطب الأقطاب أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً كما أشار إليه بقولهﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[1] ومن قبله من الإنبياء والمرسلين والخلفاء والكمّل من الأقطاب وغيرهم من الرجال العدد، هم في الحقيقة نوابّه ومظاهر مرتبته، ومن فيضه الأقدس يستمدّون فكلّ منهم هو الإسم الأعظم؛ لكن بالنيابـة والفيض عن المرتبـة المحمدية، وأعظميتهﷺ إنّما هي بالإضافة إلى من دونه في الأكملية والحيطة، فهم أتباعه وورثة سرّه، فالكمال والقطبية حاصلة لهم ببركة متابعته واسميته من الأعظمية على متوالي ما تقدم ممّن كان قبله.

فاتضح بهذا، الإسم الأعظم على الإطلاق إنما هو لخاتم المرسلين، ولغيره إنّما يكون بالإضافة.

لايحة

[مفردات كلمة«الله»واشارته]

«الألف»يشار به على الذات الأحـدية وهو الحق، من حيث هـو أوّل الأشياء فـي أزل

---

١. *عوالي اللآلي*، ج١، ص٤١٨، ج٤، ص١٢١، ص١٢٤؛ راجع *تفسير صافي*، ج٥، ص٣٧؛ *ينابيع المودة*، ج١، ص ٥٤٦؛ *بحار الانوار*، ج١٦، ص٤٠٢، حديث ١.

الآزال، ويعبر بعبارة اخري: الألف صورة الوجود المطلق الذي هو الحق سبحانه وهو غير متعين بتعيين زاد عليه، والألف أيضاً كذلك وهو سبحانه أصل الوجود الإضافي، كذلك أصل باقي الحروف وهو صورة الاختراع الأول.

وقيل:

«البا» لأن أول ما حصل من «الألف»، «البا» خالياً صورته، والاختراع الأول فيض الحق.

والتحقيق أنّ «الألف» مطلق له في عالم صورة وهو حرف ناري في عالم التشكيل.

ومن المحققين: «من جعله حرفاً حاراً في الدرجة الاولي»، فعلى هذا يجمع بين طبيعتين النار والهواء. وهذا هو الحق، وله تعلقات عجيبة في العالم العلوي والسفلي، الإنسان وغيره، ليس هذا محل تفصيله.

و«اللام» سرّ الأمر وقال بعضهم: «هي يشار بها إلى القدرة كما أنّ «الألف» يشار بها إلى الذّات». واعلم: أنّ «اللام» سرّ الألف، إذ هي ألفان في الموضوعات الخطية الأعلا، هو «الألف» المعلوم وليس المشار إليه والمبسوطة، هي قدرته التي بسطها على خلقه وهو قائم على قدرته بما بسطه على خلقه من أنواع تصريف الأقدار؛ فهو في «الألف» ذات وفي «اللام» ذات وصفات، وأكمل بسط «الألف» «اللام» ولذلک كاتب «الألف» عالم الاختراع الأول و«اللام» هي حقيقة الاختراع الأوّل، والثاني لما قلناه من أنّهما ألفين وهو حرف مائي.

ومن المحققين: «من جعله بارداً في الدرجة الثالثة»، فعلى هذا يجمع بين طبيعتين الماء والتراب، وله تعلقات عجيبة في العالم العلوي والسفلي الإنسان وغيره، ولها باطن التوحيد وهو نور مطلق، غير متعين بتعين خاص في العالم العلوي وهو باطن الإسم الأعظم.

وجعلت «الهاء» آخر الإسم الأعظم و«الألف» في أوله يجتمع ظاهر التوحيد وباطنه، فيصير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وإنّما قلنا، أنّ «الهاء» باطن التوحيد؛ لأنّه في توحيده ذاته بذاته جيء بها، قال تعالي: ﴿**شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو**﴾ (آل عمران(٣): ١٨) وقدمت في توحيد الموجودات، توحيد علم وقدرة ومشية، قال تعالي: ﴿**وهو معكم**﴾ (الحديد(٥٧): ٤) أي بعلمه وقدرته وأحكام مشيته وتقدمت على الأول؛ إذ هي باطنه، بقوله تعالي: ﴿**هو الأوّل**﴾ (الحديد(٥٧): ٣) وهي باطن الآخر وباطن الباطن وباطن الظاهر فتدبره. وهو الآخر وهو الظاهر وهو بالباطن. و«الهاء» حرف ناري في الدرجة الثانية، وقيل: هوائي روحانيٌ باطنيٌ.

والتحقيق: إنّه حارّ، فعلى هذا يجمع بين طبيعتين النار والهوي، وله من النسب العددية خمسة، وبهذا الاعتبار سرّها سارٍ في أسرار الخماسيات المنبثّة في العالم كالصلاة الخمس

والخمسة المغيبات، وهو قوله تعالي: ﴿**الله عنده علم الساعة**﴾(لقمان(٣١): ٣٣)إلى آخر السورة. وفذلكة هذا الإسم على سبيل الإيجاز، أنّه ظهر بألفين ولامين وهاء، فالألف الواحدة لنسبة الإسم الباطن وهي الظاهرة في النطق لافي الخط لظهور الإسم الباطن بأثره لا بعينه، والألف الاخري، الظاهر في النطق والخط لنسبة الإسم الظاهر، واحد اللامين لنسبة ارتباط الحق بالعالم من كونه ظاهراً بحقائق العالم، واللام الاخري لنسبة ارتباط العالم بالحق من حيث ظهور العالم، بعضه للبعض في غيب الحق. والحق هو الظاهر ومرآة التجليات والهاء للهوية الجامعة بين الأوّل والآخر والظاهر والباطن وبسرّها جمع الجمع.

وقيل: «حروفه الظاهرة والباطنة ستة خمسة»كما بيننا و واو باشباع الضمة وأنّه هو الإسم الأعظم على قول الجمهور وغيره على قول ما تقدم. وأنّه هل هو مشتق أم غير مشتق إلى غير ذلك من الأقوال المتقدمة؛

وبمجموع الأقوال: أنّ هذا الإسم له العظمة والجلال والجمال والكمال لكونه موضوعاً بإزاء الذات واستلزامه جميع الأسماء والصفات؛ إذ بسرّ ألفه، قام الاختراع الأوّل وعالم الأنوار والقطبية والعرش وبالألف الثانية، حصل الاختراع الثاني من الأرواح والملكوت والصور والمثل كما قام في الاختراع الأوّل، الأسرار والرموز والكرسي؛ وباللام الثانية؛ حصل الإبداع الأوّل والهيولي الكلية؛ وباللام الثانية حصل الإبداع الثاني والجسم الكلي؛ وأما السموات والأرض وما فيهن، فهي فروع وتفاصيل وجزئيات للجسم الكلي؛ وأما هاء الهوية، فهو قائم بسرّ الجميع، فانظر إلى سرّ هذا الإسم، كيف صدرت عنه آثار الأسماء و الصفات فمن ثَمّ كان مستلزماً لهاء.

واعلم، أنّ من جلال هذا الإسم، أنّه قبض بسط العقول والأرواح والقلوب في ميدان هذا الإسم كما بسطهم في ميدان الإسماء، من هذا السرّ، لم يقع التجاسر. ولا سنح للأفكار في إطلاق التسمية به مع وجود الجاحدين والفراعنة المتمردين وشدة كفرهم؛ ولذلك كان كل اسم من أسمائه تعالي، يصح للتخلّق إلاّ هذا الإسم؛ فإنّه للتعلق به. وعبد هذا الإسم، صاحب الزمان ونقطة الكون في كلّ أوان، والمعبر عنه بالقطب عند الكافّة وهو هجيراه. وأما ما ينتجّ ذكره، فنعرض عنه صفحاً؛ لأنّ من وصل اطّلع ومن لم يصل، قد يتضرر وليكن هذا آخر الكلام، لهذا الإسم؛ فإنّ ساحل بحره، لايحاط به. والكلام عليه لا نهاية له.

[تفسير ﴿لا اله الاّ هو﴾]

﴿**لا إله إلاّ هو**﴾خبر المبتدأ و«لا» هاهنا هي التي لنفي الجنس، وفي العربية، تشاجرٌ في أنّه هل يثبت خبرها أم لا؟ فبنو تميم، لا يثبتونه في كلامهم أصلاً، وأهل الحجاز يثبتونه؛[1] لكن يحذف كثيراً عندهم، فيقولون: «لا أهل»و«لامال» و«لا بأس»و«لا فتي إلاّ على ولا سيف إلاّ ذو الفقار»، والخبر المحذوف في ذلك كلّه، «لنا»أي لا أهل لنا إلى آخره. ومن هذا المادة، كلمة التوحيد، لكن تقدّر الخبر فيما في الوجود؛ لأن«لا إله إلاّ هو»في الأصل، ردّ على الجاحد، لأنهم لا يقدمون على الحذف إلاّ إذا كان مبنياً على كلام متقدم قد جري فيه ذكر الخبر، فاستغني بذلك عن ذكره؛ فكأنه يقول: «هل في الوجود من إله غير الله» فيقال. له: «لا إله إلاّ هو»وإنما لم يقدّر أنّ الأصل«لا إله لنا إلاّ الله»؛ إذ ليس في تقديره، دلالة على توحيد الحق مطلقاً؛ إذ يحتمل أن يقال: هب إنّه لا إله لنا إلاّ هو فلم قلتم: لا إله لجميع المحدثات إلاّ هو، فقدر الأصل«لا إله في الوجود إلاّ هو» فتقررت الوحدانية مطلقاً أزيح هذا الوهم؛ ولذا قيل:[2] كرر التوحيد في قوله ﴿**والهكم إله واحدٌ لا إله إلاّ هو**﴾ (البقرة(٢): ١٦٣) لأنّه لما قيل و«إلهكم إله واحد» بقي لسائل أن يقول: هب أن إلهنا واحد، فلم قلتم أنّ الله لكلٍ واحد، فأزيل هذا السؤال فقوله عزّ وجلّ بعده«لا إله إلاّ هو».

[القول في كلمة «الا»]

و«إلاّ»هو المستثني في موضع رفع، بدلاً من محل«لا إله إلاّ»، أنّ محل«لا»مع المنفي، رفع بالابتداء ولو كان موضع المستثني نصباً، لكان إلاّ إياه. ونقل الإمام فخر الدين الرازي في شرحه لأسماء الحسني:

> أنّ النحاة، اتفقوا على أنّ معني«إلاّ»في كلمة التوحيد بمعني«غير»، التقدير«لا إله غيره»، في «لا إله إلاّ الله»لا إله غير الله. وهو مثل قول الشاعر، وكل أخ، مفارقة أخوه لعمر أبيك إلاّ الفرقدان. ثم والذي يدل على صحة ما قلناه، أنّا لو حملنا«إلاّ»على الاستثناء لم يكن قولنا «لا إله إلاّ الله»توحيداً محضاً؛ لأنّه قد يصير تقدير الكلام «لا إله»يستثني عنهم الله، فيكون هذا نفياً لآلهة يستثني عنهم الله؛ بل عند من بدليل

١. مغني *اللبيب*، ج١، ص٣١٥.
٢. *تفسير الكبير*، ج٤، ص١٩٦.

الخطاب يكون اثباتاً لذلک وهو كفر . فثبت أنّه لوكان كلمة«إلاّ» محمولة على الاستثناء لم يكن قولنا «إلاّ إله إلاّ الله»توحيداً محضاً ولما أجمعت الأمة على أنّه يفيد التوحيد المحض وجب حمل«إلّا»على معني غيره حتي يصير معني الكلام لا إله إله غير الله .

انتهي كلامه .

وفيه نظر : من حيث دعوي الإجماع ، فإنّ هذه المادة من أفراد ما تعذر البدل فيه لفظاً ، فيبدل على الموضع كما هو مقرر في فنه . وأيضاً لحمل«إلاّ»على غير شروط وهي منتفية هاهنا . وليس مسلم عدم الاشتراط على المذهب الضعيف .

فبعضهم : قد صرح بأنّ«إلاّ»في هذه المادة الاستثناء كأبي البقا في[1] اعرابه وغيره ، فكيف يكتم دعوي الاجماع مع التصريح بأنّها للاستثناء واقتضاء خصوصة المادة ذلک .

وأمّا ما ذكره من العلّة المانعة من حمل«إلاّ»على الاستثناء المثبت لحضرة الالوهية في الحقّ، متأخر عن الإخراج ، وبعد الاخراج إنّما يتعين الحق بانحصار نسبة ألوهية فيه ؛ و الجنس المنفي لايكون مراداً باعتبار الاسناد ؛ بل باعتبار عدمه ، فينفي الاستثناء وارد على مطلق الجنس المنفي لا باعتبار قيد .

نعم حكم السلب الوارد على ماهية ، الجنس ، قد ارتفع بثبوت نقيضه لفرد من الافراد . وهذا لا يقدح في مطلق الماهية لا قيد لأنّه اسناد بعد الاخراج وهي معتبرة باعتبار عدمه .

هذا الجواب مما فتح الله به علينا وهو من غوامض أسرار الصناعة الناتج عنها ، هذا حظّاً لمعرب . وأمّا غير ذلك ، فيقول : قوله تعالي﴿**الله لا إله إلاّ هو**﴾تقرير للوحدانية ، المستلزمة لنعوت الجلال كلّها مع استلزامها لثبوت ذات واجب الوجود ، فدلّ قوله تعالي ثلاث الهيات .

[الالهيات الثلاث في﴿الله لا اله إلّا هو﴾]

وتحقق هذا يتوقف على مقدمة : وهي أنّهم جعلوا[2] مباحث الهيات منحصرة في ثلاثة أبواب : الأول : في أنّه تعالي ، الثاني : في صفاته ، الثالث : في أفعاله ،

---

١ . *اعراب القرآن* (أبي البقاء)ص٤٥ ذيل تفسير آيه ١٦٣ سورة بقره .

أبي البقاء : عبد الله بن الحسين العبكري (٦١٦هـ) عالم في اللغة والأدب والفرائض . عاش في بغداد وألف كتباً منها : شرح *ديوان المتنبي* وشرح *اللمع لابن جني* و*اعراب القرآن* مرسوم بتفسير *التبيان* .

٢ . *تفسير الكبير* لفخر رازي ، ص ٧ ؛*تفسير القرآن* لملاصدرا ، ج٤ ، ص٥٥ .

وقسّموا الباب الأول إلى قسمين :

القسم الأول : في إثبات واجب الوجود العلم به وجعلوا فيه ثلاث مباحث .

والقسم الثاني : في التنزيهات . وجعلوا فيه أبحاثاً خمساً وفي تقرير الوحدانية ، استلزام لذلك ؛ لأنّ لابدّ لها من موضوع تحمل عليه وتنسب إليه وهو في هذا الفرض المقدر والمادة الخاصة ذات واجب الوجود ؛ إذ الكلام في ثبوت نسبة الوحدانية إليها ، فيحصل بهذا التقرير ، القسم المشتمل على إثبات واجب الوجود بمباحثه ، لإستلزام حمل الوحدانية ثبوت الموضع وتعيينه .

وأمّا استلزامها للقسم الثاني المشتمل على التنزيهات ؛ لأن حضيرة التوحيد ، تستلزم نفي التجزّي والتثنّي ، أمّا استحالة التثني فلذلك لا تمانع المشار إليه بقوله تعالي : ﴿**لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا**﴾(الأنبياء(٢١) : ٢٢) ولأدلة اخري مذكورة في الكتب الكلامية . وأمّا استحالة التجزي ، فللزوم التركيب الموجب للافتقار المستلزم للإمكان وجواز الإمكان عليه محال ؛ إذ لابد من الانتهاء إلى مؤثر موجد للعالم واجب الوجود ، غير ممكن . دفعاً للدور والتسلسل ، كما هو مذكور في الكتب الكلامية .

وإذا ثبت أنّ حضيرة التوحيد ، مستلزمة النفي التجزي والتثني ، فينفرد بالقدرة والكمال ويتعالي في الصفات والأفعال عن مناسبة الأشباه والأمثال ، وهذا هو عين التنزيه . هذا ما استلزمه الآية من الدلالة على تجريد التوحيد المشتمل على ثلاث الهيات .

[تفسير كلمة«هو»]

إذا تحقق هذا ، فلنتكلم علي«هو» ؛ هذا الاسم له هيبة عند أرباب المكاشفات ، وهو ذكر خاصة الخاصة وهو موضوع بإزاء الذات المقدسة باعتبار الغيبة والفقد ؛ إذ الأسماء على قسمين : مظهرة ومضمرة ، فالمظهرة دالّة على الماهيات المخصوصة ؛ والمضمرة دالّة على المتكلم والمخاطب والغائب من دالةٍ على خصوصية ماهية من الماهيات ؛ إذ المضمرات كليات وضعاً وانحصارها في المختصات المعينة بحسب الاستعمال ، لا يخرجها عن أصل وضعها ، إذ مفهومها كلي واستعماله في الخارج في منحصر معين ؛ لا يضادّ ذلك ؛ إذ الكلي قد يمتنع وجوده في الخارج أو يمكن ولم يوجد أو يوجد واحد مع امتناع غيره للخارج عن المفهوم وإمكانه أو متعدد متناه أو غير متناه كما هو مبين في فنه .

وذهب الأكثرون إلى أنّ المضمر جزئي. والصحيح ما ذكرنا من أنّه كلي ومنهم؛ من قال: أنّه كلي وضعا، جزئي استعمالاً ولا حاجة إلى أنّا نقول: جزئي استعمالا لأن مناط الكلي والجزئي هو المفهوم، وأمّا اعتبار الوجود في الخارج والاستعمال، فأمر خارج عن المفهوم؛ وإذ قد تبين أنّ وضع المضمرات على الذي بيناه، فيكون اسم هو حينئذ دالاً على الذات المقدسة باعتبار الغيبة والفقد، إذ هويته باطنة عن أنظار العقول ومحتجبة بحجب الجلال عن أن تنال. وهذا هو المعنى بالغيبة والفقد.

[بيان سرّ]

لكن هاهنا سرّ ننبّه عليه: وهو أن إلهاً مع الواو، تدلّ على الذات غالباً من حيث ظاهر الهوية المنبئة عن الجمعية بدلالة حرف الواو ولمّا فيه من الاستنباط الزائد على أنّها وهو قطرة من أقطار دوائر الحروف، وأما حرف الهاء من غير الواو، فإنّه يدل على الذات؛ لكن من حيث الوحدة الحقيقية الصرفة التي هي غيب الغيب لإرتفاع التعيين والإنبساط الحاصل من إنبساط الواو، لأنّ التعيين تنزل وطبيعة الواو معتصمةٌ لذلك؛

خاتمة في مراتب التوحيد

للتوحيد مراتب: أدناها، قول«لا إله إلاّ الله وحده لا شريک له»وهذا هو التوحيد الظاهر الجليّ الذي نفي الشرک الأعظم، وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والأموال وانعضلت دار الإسلام من دار الكفر، وهو أصل التوحيد التقليدي الذي صحت به الملة العامة وهذا توحيد العوام.

[توحيد الاستدلالي]

ويلحق بهذه المرتبة، التوحيد الاستدلالي الذي هو من و راء الحجاب، فإنّ التوحيد التقليدي والاستدلالي وإن اشترط فيهما السلامة من الشك والريب، لكن هما في معرض أن يطرأ عليهما الشوک والشبه، ومع هذا لا يخلص أصحاب هذه المرتبة عن توهمات باطلة؛ فإنّ الواحد منهم إذا سمع أنّ الحق سبحانه واحد، ظن أنّ وحدته شخصية، قياساً إلى وحدة نفسه وكذا في جميع صفاته، إذ لا يعرف من الحق سبحانه إلاّ ما هو حاصل له، خصوصاً

الفقهاء، فإنّهم حاكمون بأحكام الله وفي معرفة الذات والصفات والأفعال الإلهية كباقي المقلدين من الموحدين؛ بخلاف أهل التوحيد الشهودي لشهودهم الحقائق، كما سيأتي بيانه.

[توحيد الخواص]

وأما توحيد الأفعال: رجوعها كلها إلى مبدءٍ واحد وهو الحق سبحانه، فتسقط الأسباب الظاهرة ويحصل الصعود والترقي عن منازعات العقول، مقام الكشف والشهود وهذا كالأفعال الصادرة من المظاهر الإنساني؛ فإنّه لا شك أنّ مبدأ أفعاله هي النفس الناطقة. والاختلاف في القوي والجوارح والآلآت، لا تقدح في وحدة الإنسان الفاعل، فكل ما من هذا العالم، إنّما هو في الحقيقة من المبدأ الأول الحق سبحانه وإن اختلفت الأسباب القريبة المستندة هي إليها.

وأما توحيد الصفات؛ فهو رجوع الصفات الكمالية الشاربة في الحقائق الكونية إلى الصفات الإلهية واستهلاكها فيها؛ فإنّ علم الإكوان مثلاً رشحةٌ من رشحات حقيقة العلم الإلهي، كذلك الإرادة والقدرة وغيرهما من صفات الأكوان؛ فإنّ ذلك، قطرة من قطرات بحر الأسماء والصفات.

وأما توحيد الذات؛ فهو رجوع الذوات الكونية كلّها ـ العالم الكبير والعالم الصغير ـ إلى الذات الأحدية واستهلاكها فيها، فتستغرق الحقيقة في بحر الطمس ويعجز العقل في بحر الإدراك وتنسحب أنوار العظمة، فتغيب الموجودات وتتلاشا الأكوان وتبرز أسرار التوحيد بشهود جلال: ﴿**كل شيء هالك إلاّ وجهه**﴾(القصص(٢٨): ٨٨)، وكمال هذا التوحيد هوالذي يكون من الحق سبحانه لنفسه، ثم لنفس الإنسان الكامل المشاهد لمراتب جميع الوجود الحقّاني والكوني، ثم من تكون نسبته إلى الكامل أتم وقربه منه أكثر إلى أن ينتهي إلى توحيد من له شهود مثالي لا غير، ثم مرتبة التوحيد الاستدلالي إلى العقلي والنقلي، ثم مرتبة التوحيد التقليدي.

[توحيد خاصة الخاصة]

واما توحيد خاصة الخاصة، فالوارد علينا من حالة الإملاء، اقتضي الإمساك عنه؛ لكن نذكر مشهداً من مشاهده تشريفاً للمقام وهو في بعض المشاهد شهود الوحدأ في الكثرة

والكثرة في الوحدة مع اضمحلال التعينات في العين الواحدة وشهود الحقيقة في الإطلاق والتقييد شهوداً مطلقاً عن كلا القيدين، فيرى الحقّ عين المقيد والمطلق. فلا ينافي تقييده الإطلاق بهذا المعنى ولا إطلاق التقييد، فلا يخرج عن إحاطته شيء.

[تفسير ﴿الحيّ القيّوم﴾]

﴿**الحيّ القيّوم**﴾: يجوز أن يكون خبراً ثانياً وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي«هو»وأن يكون مبدأ والخبر«لا تأخذه» وأن يكون بدلاً من«هو»، وأن يكون صفة الإسم الأعظم، وأعربها الوجه الأول والثاني لما أثبتت لذاته المقدسة نعوت الجلال، أردفه بصفات الأكرام وقدّم نعوت الجلال على صفات الإكرام إرشاداً وتعليماً لعباده إلى كيفية النظر المؤدي إلى معرفته، ولإنّه لا ينظر في صفاته الثبوتية نظر تحتم وإيجاب إلاّ بعد ثبوت تقدّسه عن مناسبة المخلوقات وتفرده بالإلوهية. فيتحقق بذلك الحكم على العباد، فيلزمهم النظر في معرفته.

[سرّ تقديم صفات السلبيّة على الصفات الثبوتيه]

وأيضاً في تقديم الصفات السلبية لتنزيهية على الصفات الثبوتية الاكرامية، صقل لمراى الأذان وجعلها معدّة لدفع الشبهات الوهمية التي عساها أن تقع حالة النظر في صفات الإكرام من تجسيم وتشبيه وغير ذلك مما لا يليق بالحضرة المقدسة، فكان تقديم ذلك، كالسلاح المعدّ لمن أعطي النظر حقه باستيفاء شروطه وانتفاء موانعه، ومن حصلت له الشبهة من النظار، إنّما حصل له ذلك لإخلاله بتصحيح النظر وتكميله.

وجمع في هذه الآية العظيمة بين نعوت الجلال وصفات الإكرام تنبيهاً للعباد إلى معرفة تجريد التوحيد ومعنى تجريد التوحيد أن لا يشوبه خاطر تشبيه ولا خاطر تعطيل، أي أثبت وجود ذاتٍ متصفة بصفات الكمال ﴿**ليس كمثله شيء**﴾(الشورى(۴۲): ۱۱) لا في ذاته ولا في صفاته، فيعتقد وحدانيته فيهما جميعاً، فإثبات الذات و الصفات، يخلص من التعطيل و تنزيههما عن مشابهة الغير، يخلص من التشبيه. هذا معنى تجريد التوحيد على طريقة أهل الاقتصاد من المتكلمين.

إذا علمت هذا، فقد فسر«الحي» بتفسيرين:

أحدهما : أنّ حياته عبارة عن صحة اتصافه بالعلم والقدرة فليس هناك إلاّ الذات المستلزمة لانتفاع الامتناع وعلى هذا اقتصر صاحب *الكشاف*[1] فهذا مذهب الحكماء وأبي الحسين البصري .

وذهب الباقون من المتكلمين منّا ومن المعتزلة[2] إلى أنّها عبارة عن صفة تقتضي هذه الصحة . والبيضاوي ذكر في كتبه الكلامية هذين التفسيرين ، لكنه اقتصر في تفسيره[3] على التفسير المرجوح ذهولاً منه بسبب تفصّيه كلام *الكشاف* وإلاّ لما ترك الراجح واقتصر على المرجوح لا سيما وقد ذكره في كتبه .

والغزالي في شرحه *الأسماء الحسنى* فسّره بأنّه :

> الفعّال الدرّاك ، ثم قال : فالحي الكامل المطلق هو الذي تندرج جميع المدركات تحت إدراكه وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذّ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالي فهو الحي المطلق .[4]

انتهى كلامه .

واعلم ؛ أنّ «الحي» هو إمام الأئمة التي هي الأسماء السبعة الأول المسماة بالأسماء الإلهية وهي : الحي والعالم والمريد والقادر والسميع والبصير والمتكلم[5] وهذه أصول الأسماء كلّها ، وبعضهم زاد ثامناً وهو «الباقي» ، وبعضهم أورد مكان «السميع والبصير» ، الجواد والمقسط .

والحق ، أنّهما من الأسماء التالية لاحتياج الجود والعدل إلى العلم والإرادة والقدرة ؛ بل الجميع لتوقفه على روية استعداد المحل الذي يفيض عليه الجواد الفيض بالقسط وعلى سماع دعاء السائل بلسان الاستعداد وعلى إجابة دعائه بالفيض الأقدس على الوجه الذي يقتضيه استعداد السائل من الأعيان الثابتة ، فهما كالموجد والخالق والرازق التي هي من أسماء الربوبية وإنّما جعلوا الحي إمام الأئمة ، لتقدّمه على العالم بالذات ؛ لأن الحياة شرط العلم والشرط متقدم على المشروط طبعاً والعالم متقدّم على جميع الأسماء ، فينتج أنّ

---

١ . *الكشاف* ، ج١ ، ص٢٩٩ .
٢ . نقله في هامش *الكشاف* ، ج١ ، ص٢٩٩ .
٣ . *تفسير البيضاوي* ، ج١ ، ص١٣٤ .
٤ . لم نعثر على كتابه ولكن ذكره نحوه في *تفسير الكبير للرازي* ، ج٧ ، ص٧ .
٥ . *فتح القدير* ، ج١ ، ص٣١١ .

«الحي» متقدم على جميع الأسماء، فيصير بذلك امام الأئمة. وعند بعضهم، أنّ العالم بذلك أولى؛ لأن الإمامة أمرٌ نسبيٌ، يقتضي مأموماً وكون الإمام أشرف من المأموم، والعلم يقتضي نسبة؛ لأنّه إمّا من مقولة الاضافة أو من مقولة الكيف، مستلزماً للإضافة وعلى كل، يقتضي نسبة؛ والحياة لا تقتضي غير الحق، فهي غير مقتضية للنسبة.

وفي هذا الدليل نظرٌ، نعم الدليل الصحيح أن يقال: إنّ العلم هو أولّ ما تتعين به الذات دون الحي؛ لأنّه في كونه غير مقتض للنسبة كالموجود والواجب ولا يلزم من التقدم بالطبع الإمامة،

ألا ترى أنّ المزاج المعتدل شرط الحياة ولا شك أنّ الحياة متقدمة عليه بالشرف. وهذا القول ممّا أخذناه من الحق على سبيل الكشف.

[بيان«القيّوم»]

وإما اسمه«القيّوم»فله ألفاظ القيام والقائم والقيم، قرىء بذلك كلّه وقرىء أيضا «الحي القيوم»بالنصب على إضمار«أعني».

واعلم، أنّ الأشياء تنقسم إلى ما يفتقر إلى محل كالأعراض، فيقال: فيها إنّها ليست قائمة بنفسها وإلى ما لا يحتاج إلى محل كالجواهر فيقال: إنّه قائم بنفسه، إلاّ أنّ الجوهر وإن قام بنفسه مستغنياً عن محل يقوم، فليس هو مستغنياً عن موجد لذاته وعن أمور لابد منها، لوجوده وتكون شرطاً في وجوده، فلا يكون قائماً بنفسه؛ لأنّه محتاج في قوامه إلى وجود غيره وأن يحتج مع ذلك إلى محل. وليس في الوجود موجود يستغني بذاته ولا قوام له بغيره ولا يشترط في دوام وجوده، وجود غيره سوى الحق، فهو القائم بنفسه مطلقاً. ولمّا كان كل ما سواه ممكناً و كلّ ممكن فهو مستند إلى الواجب، كان كل ما سواه مستند إليه، فينتج أنّه سبب لوجود ما سواه، فاذاً هو سبب لتقويم ما سواه على الإطلاق، فوجب أن يكون قيوماً؛ لإن القيوم مبالغة في مبالغة وهي حاصلة هاهنا، إذ معناها الاستغناء عن كل ما سواه وافتقار ما سواه إليه.

إذا علمت هذا؛ فيستدل بقوله«الحي»على كونه عالماً قادراً وبقوله«القيوم»يستدل على كونه قائماً بذاته، مقوّماً لغيره. ومن هذين الأصلين، تنشعب جميع المسائل المعتبرة في أصل التوحيد.

[لوازم قيوميّته تعالى]

ويلزم من كونه قيوماً لوازم:

منها: أنّ وجوده واحد وأنّه واجب الوجود وأنّ ذاته غير مركبة؛ إذ لو كان ممكناً ومركباً لافتقر إلى موجدٍ وإلى كل واحدٍ من أجزاء المركب، فيكون متقوّماً بغير وقد فرض متقوّماً بذاته، هذا خلف.

ويلزم من انتفاء التركيب لازمان: أحدهما: أنّه ليس في الوجود شيئاً يصدق كل واحد منهما أنّه واجب لذاته وإلاّ لاشتركا في الوجود الذاتي وتبايناً بالتعيين، فتقع الكثرة في ذاتٍ كل واحد وقد فرضت منتفية، هذا خلف. الثاني: أنه تعالى يمتنع أن يكون متحيزاً، فهو بنفسه منقسم بالقسمة المقدارية عند قوم وبالقسمة العقلية عند الكل، فيحصل التركيب في الماهية وقد فرض انتفاؤه هذا خلف.

ومنها: أن لا يكون في محلٍ لا عرضاً في موضع ولا صورة في مادة؛ لأن الحالّ مفتقرٌ إلى المحل والقيوم غير مفتقر.

ومنها: أنّه يلزم أن يكون عالماً بجميع الموجودات؛ إذ لا معنى للعلم إلاّ حضور حقيقة المعلوم عند العالم، فإذا كان قيوماً، كان قائماً بنفسه ومقوّماً لغيره، فكانت حقيقة حاضرة عنده، فكان عالماً بذاته وذاته مؤثرة في غيره. فيعلم من ذلك، إنّه كونه مؤثراً في غيره فيعلم غيره، ويلزم من هذا أن يكون عالماً بجميع الموجودات.

ومنها: أنه لما كان قيوماً بالنسبة إلى ما سواه كان سواه متقوّماً به أي موجوداً بإيجاده وافتقار ما سواه إليه إمّا حال الحدوث أو حال العدم، ولزم على كل حال من التقدير من أنّ ما سواه محدث، أنّه لمّا كان قيوماً بالنسبة إلى كل الممكنات، استند كلّ الممكنات إليه إمّا بواسطة أو بغير واسطة. وعلى التقديرين، يلزم استناد أفعال العباد إليه، فكان القول بالقدر لازماً.

ومن هذا التبيان، يظهر لك أن«الحي القيوم»كالينبوع لجميع مباحث العلم الإلهي. ومن ثم ذهب ابن عباس إلى أنّ أعظم أسماء الله تعالي«الحيّ القيّوم».

[كشف وشهود]

ومما فتح الله به علينا حالة الإملاء، أنّه لو قيل بأنّ«القيوم»هو إمام الإئمة لما كان

بعيداً؛ إذ «القيوم»من حيث أنّه قائم بذاته، يدلّ على وجوده الخاص وعلى السلب من حيث استغناؤه عن غيره، وعلى الإضافة من حيث كونه مقوّماً لغيره، فهو جامع الصفات الحققة الثبوتية والسلبية والإضافية والجامع لهذا هو إسم الأسماء.

وأقوي من هذا البرهان وأدق نظراً أنّ الصفات، إنّما كانت واجبة لأجل الذات لا بالذات، سواء منها ما هو غير أو لا غير ولا غير. ويلزم من هذا، أنّ قيامها إنّما كان بالذات المقدسة فإسم«القيوم»حينئذ مقدمها وبه كانت و ما أظن أحداً من أهل الله سبقني إلى هذا الكشف.

واعلم، أنّه كان قد حصل لنا العزم على التكلم على حروف أسماء الله الواقعة في هذه الآية، لكن الوارد الإلهي منعنا من ذلك، إذ كشفنا في عالم الحروف واسع الفضا ودايرته متوالجة، متخالفة، متوافقة، محيطة محاط بها، مختصة بمشرب خصوص الخصوص، و كلامنا ها هنا، ليس من جنس هذا المشرب.

[قوله تعالى﴿لا تأخذه سنة و لا نوم﴾]

﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً ويجوز أن يكون له موضع،

وفي ذلك وجوه: **أحدها**: أن يكون خبر آخر«لله» أو خبر «للحي»، ويجوز أن يكون في موضع الحال من الضمير في «القيوم»، أي يقوم بأمر الخلق غير غافل و«لا»جاءت صلةً مع الواو لنفي السنة والنوم عنه بكلّ، نفياً مطلقاً ولولاها لاحتمل أن يقال: لا تأخذه سنة ونوم في حال واحد، فبمجيها، حصل النفي المطلق، فانتفى هذا الاحتمال. وإنما لم يقتصر على سلب السنة دون سلب النوم وبالعكس، لنفي توهم أنّ السنة إنّما لم يأخذه لضعفها ولتوهم أنّ النوم إنّما لم يأخذه؛ لأن التغير به اقطع من التغيّر بالسنة. ولا يلزم من تنزيه الشيء عما هو أقطع التنزيه عما ليس بأقطع، فجمع بينهما لنفي هذين التوهمين أو إنّانقول: ليس بينهما تلازم ذهني حتى يلزم من سلب أحدهما سلب الآخر، فجمع بينهما ليحصل التنزيه عن جميع التغيرات.

و«السنة»فتور يتقدم على النوم، والنوم حال، يعرض للحيوان لسبب استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة، بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً أو أنّ غشية ثقيلة، تقع على القلب فتمنعه معرفة الأشياء أو أنّه عبارة عنهما. وتقديم «السنة» على«النوم»لمطابقة ما عليه الموجود.

والمراد من «لا تأخذه» سلب وقوع النوم وسلب إمكان جوازه، إذ الحي على الإطلاق لا يقع عليه النوم ولا السنة ولا ما شابههما مما يقتضي انخرام الحياة و«القيوم» لا يجوز عليه إمكان جوازه، السنة والنوم والغفلة؛ إذ هو القائم بجميع الموجودات فلو جاز عليه وقوع شيء من ذالك، لفسد العالم لانقطاع الفيض الممد له. واللازم باطل، فالملزوم كذلك. ومصداق ذلک قوله ﷺ «ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام». [1] ومادة نسبة المحمول إلى الموضوع في هذه القضية ضرورية لاستحالة الانفكاك اختصاره هو منزه من التغيرات.

وهذه الجملة توكيد لكونه حياً قيوماً إذ بسلب السنة والنوم يستحيل طريان ما عساه أن يكون آفة للحياة ومخرجاً للقيومة عن تمام الحفظ والتدبير ولذلك ترک العاطف فيها ما بينهما وبين المعطوف عليه من علاقة البيان والتأكيد ولذلک الشأن في الجمل الواقعة بعد ذلك.

[قوله تعالى ﴿له ما فى السماوات وما فى الارض﴾]

﴿**له ما فى السموات وما فى الأرض**﴾ يجوز أن يكون خبر آخر لما تقدم وأن يكون مستأنفاً وهو تقرير لقيومته واحتجاج على تفرده في الألوهية وتأكيد لنفي «السنة والنوم» عنه لأنّه خلقهما وما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما وخارجاً عنهما متمكناً فيهما لدلالة في الطرفة على تمكن الكائن في طرفه في مقعره أو محدّبه. وسيأتي الكلام على ﴿**ما فى السموات وما فى الارض**﴾ من العوالم عند الكلام على الكرسي.

[قوله تعالى ﴿من ذالذى يشفع ...﴾]

﴿**من ذالذى يشفع عنده إلاّ بإذنه**﴾ من استفهام في موضع رفع بالإبتداء متضمن لبيان كبريا شأنه وأنّ أحداً لا يقدر على الكلام يوم القيامة إلاّ بإذنه و«إذ» خبره «الذى» نعت لـ«ذا» و«يشفع» صلة «الذي» و«عنده» ظرف لـ«يشفع» وقيل يجوز أن يكون حالاً من الضمير في «يشفع إلاّ بإذنه» في موضع الحال والتقدير لا أحد يشفع عنده إلاّ مأذوناً له إلاّ ومعه إذن أو لا في حال الإذن.

وهذه الجملة والذي قبلها مشتملتان على المبدأ والمعاد لإشتمال الأولى على خلق الآباء العلويات والأمهات السفليات والمولودات الناشئة عنهما، وهذا هو المبدأ. واشتمال هذا

---

١. نقله في *بحر المحيط في التفسير*، ج٢، ص٦١١؛ *التبيان في اعراب القرآن*، ج١، ص٦٣.

الجملة الثانية على الشفاعة، المستلزمة لبعث الرسل والثواب والعقاب في يوم الجزاء المستلزم في البعث والحشر، وهذا هو المعاد هما مع ما تقدم من الآية دوال بالتضمن والاستلزام على العلم الإلهي الطبيعي الذي هو علم الكلام؛ إذ هو عبارة عن علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأفعاله وعن أحوال الممكنات في المبدأ والمعاد على قانون الإسلام ولا معنى لهذه الآيات سوى ذالك.

ويمكن أن يستنبط من هذه الآيات، جميع العلوم على سبيل الإجمال، أما علم الكلام، فقد اتضح مما تقدم؛ وأما سائر العلوم، فهي منقسمة بالقسمة الأولي إلى عقلية وشرعية وأدبيّة. أما دلالتها على الشرعيات، فلدلالتها على العلم الكلي الناظر في الموجود ولواحقه أو المعلوم وأقسامه، وهو علم أصول الدين الذي هو أصل العلوم الشرعية كلّها؛ إذ هو يبحث عن الوجود وأقسامه والعدم وأقسامه، وما بقي، معلوم خارج عن النقيضين. ومن فروعه إثبات النبوات بالنظر العقلي في المعجزات ويتفرع من إثبات النبوة ساير العلوم الشرعية.

وأيضاً في قوله تعالي ﴿**من ذالذى يشفع**﴾استلزام لساير العلوم الشرعية أصلها وفرعها؛ إذ الشفاعة مستلزمة ليوم الفصل والقضاء المستلزم ذلک لإيصال الثواب والعقاب المستلزم ذلک لإمتثال الأوامر واجتناب النواهي ولا نعني بالعلوم الشرعية سوي ذلک.

وأمّا دلالتها على العلوم الأدبية، فلاستمداد العلوم الشرعية منها؛ إذ الكتاب والسنة واردان على أساليب العرب في محاوراتها وعاداتها في الخطاب. وافتقار الشرعيات إلى العربية بين لا يدفع وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب.

وأمّا دلالتها على العلوم العقلية؛ فإنّ من أراد استكمال معرفة الحق بنعوت لجلال وصفات الإكرام، إنّما يمكنه ذلك بأحد طريقين طريقة الإلهيين من الحكما بالنظر في الوجود من أنه واجب أو ممكن.

ثم يستدل به على وجود الصانع والطريقة الأخرى بالنظر في حدوث العالم وإمكانه.

ثمّ يستدل به على وجود الصانع وهذه طريقة المتكلّمين وكل من الطريقين مفتقر إلى العقليات، وقد وردت في هذه الآيات، معرفة الحقّ وهي واجبة بأدلة منفصلة. وما لا يتم الواجب، إلاّ به فهو واجب، فيلزم من هذا، النظر في العقليات لاستكمال المعرفة أو أنّا نقول: قد اشتملت هذه الآيات على حضرة الحق وتعريفه بنعوت جلاله وصفات إكرامه وعلى حقائق الأكوان والممكنات في المبدأ والمعاد على ما تقدم بيانه.

واستكمال النفس بالتحلّي بمعرفة هذه الحقائق مستلزم للعلوم الشرعية والعقلية، أما استلزامها للشرعية فواضح؛ إذ لا يمكن امتثال الأوامر واجتناب النواهي ومعرفة التوحيد بدونها والشرعيات مستلزمة للعربية. وأما استلزامها للعلوم العقلية، فلأنّ كثيراً من الأكوان لا يعلم إلاّ بالعلوم العقلية. على أنّ العلوم العقلية، شرعية عند عارفها والعلوم الشرعية، عقلية عند عالمها.

[قوله تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم و ...﴾]

﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**﴾ يجوز أن يكون خبر آخر وأن يكون مستأنفاً. والمراد من الآية، إنّه يعلم ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس، لا استقبال المستقبل واستدبار الماضي. وأنّ المراد، أمور الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه أو ما يحسّونه وما يعقلونه وما وجد قبل الكائنات وما بعدها، واختصاره أنّه يعلم الكليات والجزئيات كلها، علماً قديماً مقدماً. والضمير يعود لما في السموات والأرض ولما علا عليها من العوالم العقلية من الأرواح المجردة، بدلالة قوله: ﴿**من ذا الذى يشفع**﴾ وبهذه الاعتبار، صيغ للعقلاء لإشتمال العوالم على العقلاء ولو وصف غير العقلاء بوصفهم.

وفي هذه الآية الجملة رد على الزايغين عن الحق، من نفي العلم عنه مطلقاً أو نفي العلم بالجزئيات أو نفي العلم بذاته أو نفي العلم بغيره، إذا أثبت فيها، أنّه عالم بالكليات والجزئيات المتقدمة على إيجاد العالم والمتأخرة عنه، ولازمه أنّه علم بذاته، فعلم غيره وبرهان ذلك، مبين في فنه.

[قوله تعالى ﴿لايحيطون بشىء من ...﴾]

﴿**ولا يحيطون بشىء من علمه إلاّ بما شاء**﴾ أي معلومة؛ إذ علمه صفته ولا يحاط به ولا بشيء منه؛ ولهذا قال: ولا يحيطون به علماً إلاّ بما شاء بدل «من شيء» كما يقول: «مررت بأحد إلاّ بزيد». وعطفت على ما قبلها لأنّ مجموعها يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدالّ على وحدانيته. ولو قيل: إنّ المراد من علمه معلوماته المكنونة الّتي شاء ظهورها لمن ارتضى من نبيّ أو وليّ لما كان بعيداً، كما قال تعالى: ﴿**فلا يظهر على غيبه أحد إلاّ من ارتضي من رسول**﴾ (الجن(٧٢): ٢٧ـ٢٨).

[قوله تعالى﴿وسع كرسيّه ... ﴾]

الجمهور على أنّها جملة فعلية، من أنّ«وسع»بفتح الواو والعين وكسر السين، فعل و«الكرسي»فاعله ويقرأ بسكون السين وفتح الواو وكسرها ورفع العين و«كرسيه»بالجر «والسموات والأرض»بالرفع، على أنّه مبتدأ وخبر، فتكون الجملة إسمية.

[في حقيقة «الكرسي»]

الكلام على«لكرسي»، ما هو من الناس[1] من ذهب إلى أنّه لا كرسي في الحقيقة وإنّما هو تمثيل مجرد وتصوير لعظمته ومنهم: من قال: هو قدرته[2] وقيل: هو ملكه وقيل:[3] علمه؛ لأن العلم، يسمى كرسياً والمعلّم والمعالم أيضا. ومنه الكرّاسة لما فيها من العلم والمعني، ان الله أحاط بكل شيء علماً.

وهذا القول ينسب[4] إلى ابن عباس(رحمه الله) واستبعده بعض الناس وسنتكلم على ذلك كلّه. وقيل:[5] هو جسم بين يدي العرش والسموات السبع والأرضون السبع كحلقة في فلاةٍ بالنسبة إليه وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعلّ الأكثر على هذا القول الأخير. وفسّروه[6] بالفلك الثامن المشهور بفلك البروج.

---

١. هذا هو قول القفال وهو من مشايخ الطبري (٢٩١ـ٣٦٥) وله كتاب (في تفسير القرآن الذي فقد ولم نعثر علينا راجع *فهرست ابن نديم*، ص٣١٧؛ *مجمع البدان*، ج٣، ص٣٠٨؛ *وفيات الأعيان*، ج٤، ص٢٠٠/٥٧٥؛ ونقل عنه الرازي في تفسيره، ج٧، ص١٣؛ *والكشاف*، ج١، ص٣٠١؛ *تفسير القرآن لملاصدرا*، ج٤، ص١٥٧؛ وراجع أيضاً: *تفسير البيضاوي*، ج١، ص١٣٤؛ *التحرير والتنوير*، ج٢، ص٤٩٧ وج٨، ص١٢٧.

٢. *نور البراهين*، ج٢، ص٢١٠ (نعمة الله جزايري) وراجع أيضاً *معاني القرآن*، ج١، ص٢٦٤؛ *تفسير قرطبي*، ج٣، ص٣٧٧؛ *لسان العرب*، ج٦، ص١٩٤.

٣. *التوحيد للصدوق*، ج١، ص٣٢٧؛ *الاعتقادات*، ص٤٤؛ *معاني الأخبار*، ج٢، ص٣٠؛ *كنز الفوائد*، ص٢٣٨؛ *صحيح البخاري*، ج٥، ص١٦؛ عن ابن جبير؛ *التبيان*، ج٢، ص٣٠٩ (عن ابن عباس) *مجمع البيان*، ج٢، ص١٦٠ (عن ابن عباس و مجاهد)؛ *تفسير غريب القرآن* لفخر الدين الطريحي، ص٣٠٩؛ *تفسير الأصفي*، ج١، ص١٢١؛ *نور الثقلين*، ج١، ص٢٦٠/١٠٣٦؛ *تفسير كنز الدقائق*، ج١، ص٦٠٧؛ *تفسير طبري*، ج٥، ص٤٠٢؛ *تفسير الماوردي*، ج١، ص٢٧٠؛ *آلاء الرحمن*، ج١، ص٢٢٨؛ *ارشاد الاذهان إلى تفسير القرآن*، ص٤٨؛ *تفسير الثوري* (سفيان لثورلقرآن، ص٤٨؛ *جامع البيان*، ج٣، ص١٥؛ *معاني القرآن* (نحاس)، ص٢٦٣؛ *تفسير قرطبي*، ج٣، ص٣٧٧؛ *تفسير ابن كثير*، ج١، ص٣١٧؛ *الدرالمنثور*، ج١، ص٣٢٧.

٤. نفس المصدر.

٥. *مستدرک*، ج٢، ص٢٨٢؛ جامع البيان، ج٣، ص١٥؛ *تفسير ابن كثير*، ج١، ص٣١٧؛ *ميزان الاعتدال* (ذهبي)، ج٢، ص٢٦٥؛ (در بيان المعاني به نقل از دارقطني والمحيط عن ابن عباس نقل شده).

٦. راجع *شرح اصول كافي* (مازندراني)، ج٣، ص١٨٣ـ١٨٦؛ *بحار الانوار*، ج٥٥، ص٣٧، ص٧٩؛ *تفسير ابن كثير*، ج١، ص٣١٨؛ *اطيب البيان*، ج٣، ص١٦؛ ج٨، ص٦٨؛ *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*، ج٢، ص٢٥٤؛ *ايجاز البيان عن معاني القرآن*، ج١، ص١٦٥؛ *البرهان في تفسير القرآن*، ج١، ص٢٢.

واعلم، أنّ المشهور عند علماء الهيئة، أنّ الفلک الثامن، هو فلک البروج وكذا عند عامة العلماء وجعلوه هو الكرسي والفلک التاسع هو الفلک الأطلس أي الذي لا كوكب به وجعلوه هو العرش.[1] وذهب صاحب اخوان الصفا[2] إلى أنّ فلک البروج، هو الأطلس، وهو موافق في أنّ التاسع هو العرش والثامن هو الكرسي؛ وخالف في جعل الثامن فلک البروج وقال: فلک البروج هو التاسع، المحيط المحدد للجهات. وذهب بعض أكابر المحققين إلى أنّ الفلک الأطلس، هو فلک البروج وأنّ الكرسي فوق الأطلس والعرش فوق الكرسي، فعلى هذا تصير الأفلاک أحد عشر فلكاً. وقول هذا المحقق الواصل إلى الحضرة، هو المختار عندي. وقول عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) أيضاً نختاره مع هذا القول و سنوضح لک تحقيق الوجه المختار.

وندفع ما اعترضوا به على عبد الله بن عباس(رضي الله عنه) وتأويلهم مقالته. وكثير من العلماء ذهب إلى أنّ السموات العلى الأرقعة، هي فوق الأفلاک السبعة التي تجري بها الشمس والقمر، وقالوا إنّ هذه الأرقعة هي التي فتحت للرسول ليلة الإسراء وجعلوا قوله تعالي: ﴿**ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق**﴾(المؤمنون(٢٣): ١٧)هي طرائق الأفلاك، وقالوا إذا أراد الحق أن يخص العلى بالذكر، عرّفهنّ بألف اللام أو وصفهن بالعلّية فقال: ﴿**السموات العلى**﴾ (طه(٢٠): ٤) وقال: ﴿**من رب السموات السبع ورب العرش العظيم**﴾(المؤمنون(٢٣): ٨٦) وعلى مقالة هؤلاء تصير ألا كراس أربعة عشر، ومعلوم، الكرسي وسع السموات والأرض بالنص، فيصير هو خامس عشر.

إذا عرفت هذا: فلنشرع في بيان الوجه المختار، لكن نقدم على ذلك، مقدمة مشتملة على ترتيب الوجود وتقسيم الموجودات على سبيل الاختصار والقانون الكلي كالتتمة للمراد من وجه. كالمنادي من وجه؛ فنقول: المعلوم لا يخلو إمّا أن يكون وجوده من ذاته أو لا يكون، والأول: هو المسمّى بواجب الوجود والثاني: إن اقتضت ذاته العدم، فهو المسمى

١. *بيان المعاني*، ج ١، ص٢٢٥، ص٣٦٢؛ *تفسير القرآن الكريم* لملاصدرا، ج ٦، ص٣٧٢؛ *تفسير روح البيان*، ج ٤، ص١٧، ص٤٤٨؛ *تفسير ستّ سور*، ص٣٤٠ (سورة ملک)؛ *محاسن التأويل*، ج ٥، ص٩٣؛ *تفسير الميزان*، ج٨، ص ١٥.

٢. *تفسير القرآن* لابن كثير، ج١، ص٥٢١؛ *كشف الظنون* (حاجي خليفه)، ج١، ص٣٣٥ عن صدر الدين قونوي؛ شرح *الاسماء الحسني سبزواري* ١: ١١٧ عبارت ابن كثير چنين است: «وقد زعم المتكلمين على علم الهيئة من الإسلاميين، أنّ الكرسي عندهم هو الفلک الثامن و هو فلک الثوابت الذي فوقه الفلک التاسع وهو الفلک الأثير. ويقال له: الأطلس، وقد ردّ ذلک عليهم آخرون. وروى ابن جرير عن الحسن البصري أنّه كان يقول هو العرش. والصحيح أنّ الكرسي غير العرش. والعرش أكبر منه. كما دلّت على ذلک الآثار والأخبار. وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفه عن عمر في ذلک وعندي في صحته نظر.

بممتنع الوجود وإلاّ فهو الممكن على الإطلاق ؛ يطلق على معنيين الأوّل ما ليس بممتنع ، والثاني ما ليس بممتنع الوجود ولا بممتنع العدم ، والأول يسمى ممكناً عاماً ؛ لأنّه يشمل الواجب والممكن أو ؛ لأنّه اصطلاح الخاصة .

والممكن الخاص ينقسم إلى قسمين : الأوّل : ما يكون قوامه بذاته . والثاني : ما ليس قوامه بذاته والأوّل ، يسمى بالجوهر والثاني ؛ بالعرض ويرسم الأول ، بأنّه الموجود الذي إذا لا في موضوع والثاني ، يرسم بأنّه الموجود الذي لا يوجد إلاّ في موضع ؛ ويعني بالموضوع ، المحل المقوّم لما حلّ فيه والجوهر ؛ إمّا أن يكون محلاّ وهو المادة أو حالاّ وهو الصورة أو مركباً منهما وهو الجسم أو لا محلاًولا حالاً ولا مركباً منهما . وهو إمّا أن يكون له تعلّق الجسم بالتدبير وهو النفس أو لا يكون وهو العقل . والجسم إمّا بسيط أو مركب ، والبسيط نوعان : فلكي وعنصري ؛ لأنّه لا يخلو اما أن يكون بين الجزء وكله مشابهة في الإسم والحدّ أم لا ؛ فالأول : عنصري ، والثاني : فلكي .

والجوهر المركب ، ما له أبعاد ثلاثة ، وهو ينقسم إلى معدن ونبات وحيوان ؛ لأنّه لا يخلو إمّا أن يكون له نما أم لا ، الثاني ، المعدن والأول ، إمّا أن يكون له حسّ أو لا ؛ والثاني ، النبات والأول ، الحيوان . وهو منقسم إلى إنسان إن كان له نطق وإلى غيره إن لم يكن له نطق . و قيل : في تقسيمهما غير ذلك .

وأما الجوهر الذي ليس بحالّ ولا محلّ ، فهو كما تقدم ينقسم إلى قسمين : لأنّه إما أن يتعلق بالجسم تعلقاً شوقياً أو لا تعلّق له بالجسم ؛ والأول . يسمى نفساً ويرسم بأنه جوهرغير جسماني برىء عن الهيولى ، متصرف في الجسم ، من شأنه أن يدرک الأشياء المجردة عن الهيولى وغواشيها . والثاني : هو الذي لا تعلق له بالجسم بل هو برىء عن الهيولى وغواشيها . ويسمى هذا الثاني عقلاً ويرسم بأنه : جوهر بسيط روحاني ، مجرد عن الهيولى والجسمانيات من شأنه .

أنّ المعقولات مجردة والعقل ينقسم إلى قسمين : أحدهما : ما لا يكون بينه و بين العلة الأولى واسطة والثاني : ما يكون بينه وبين العلّة الأولى واسطة . والأول ، يسمى بالعقل الأوّل والعقل الكلي وهو معلوم بالنسبة إلى العلة الأولى وله وجود من المبدأ الأول ووجوب بالنظر إليه وإمكان من ذاته ، فيكون بذلك سبباً لعقل ونفس وفلك . وهلم جرا إلى العقل العاشر ؛ فيحصل عقول عشرة وأفلاك تسعة . وهذه ، العقول الذي بينها وبين العلة الأولى واسطة ، فهذه قسمة العقلاء من الحكماء ولهم عبارات مختلفة وتقسيمات منتشرة ، كلّها

أشار به المعنى . فاقتصرنا على هذه القسمة إيثار للاختصار ، لكن نـورد قسمة أُخرى على أسلوب غريب .

فنقول : المعلوم على قسمين : موجود و معدوم ؛ والمعدوم على قسمين : مقدور و محال ، والموجود على قسمين : مطلـق ومقيد ، المطلق ، لا يتقيد بصفـةٍ دون صفةٍ ولا بمكان دون مكان ولا بزمان دون زمـان ، والمقيد على قسمين : مشـروطٌ بالحياة كالعلـم وغير مشـروط كاللون والطعـم ، والجوهر على قسمين : فلكـي وطبيعي ، والفلكى على قسمين : أطلـس ومكوكب ، والكواكب على قسمين : سيـارة وثابتـة ، والسيارة على قسمين : متحيـزة و[غير] متحيزة . والطبيعي على قسمين : بسـيط ومركب ، والبسيط على قسمين : ثقيـل وخفيف ، فالخفيف النار ، والهوي والثقيل الماء والتراب . والمركب على قسمين : نامٍ و غير نامٍ والنامي على قسمين : نبـاتـي وحيواني والحيـواني على قسمين : ناطـق وغير ناطـق ، والناطق علـى قسمين : مـؤمن وغير مؤمـن ، والمؤمن على قسمين : صالـح وغير صالـح ، والصالح علـى قسمين : نبـيٌ ووليٌ ، والولي على قسمين : مجـذوب وسالك ، والسالك على قسمين : فـي حضرة العبـودية أو في حضـرة الأسماء الإلهيـة . وغير النامي هو الجمـاد والجـواهر الغير متحيزة ، فاعل ومنفعل فالمنفعل هي العنقا ، والفاعل على قسمين : مقبل ومدبر ، فالمقبل هو العقاب ، والمدبر هي الورقا والدرة البيضاء .

إذا علمت هذه المقدمة ، فنلشرع في بيان ما اختـرناه من قول عبد الله بن عبـاس رضي الله عنه والقول الآخر الذي لبعض المحققين :

فنقول : إعلم أنّ علم الحق من أول التعينات التي تعين وجود الحق المطلق وأول العوالم المتعينة من العما كذا ، تعين صـورة الإنسان الكلي المطلق الكامل ، ثم عالم التهييم ، ثـم عالم القلم ، ثم اللوح المحفوظ ، ثم الطبيعة الكلية ، ثم الهيولى الكليه ثم الجسم الكلي ثم أول ما تعين من الجسم الكلـيّ العـرش الرحماني الجامع للمـوجودات الأربعة الطبيعـة و الهياكل والجسـم والفلك وهو أول الأفلاك وأحد العرش الخمسـة وعمّر الله سبحانه هذا الفلك بالملائكة الحافّين وهي الواهيات وهنا مقام اسرافيل عليه السلام ، ومن هنا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله صرير الأقلام ،[1] ومن هنا نزل الرفرف ،[2] ومن هنا نودي[3]

---

١ . *مجمع البيان* ، ج٦ ، ص٤٢٨ ؛ *الدر المنثور* ، ج٤ ، ص٢٧٢ ، ص٢٧٣ ؛ *التبيان* ، ج٧ ، ص١٣٣ ؛ *بحار الأنوار* ، ج١٣ ، ص٣ ؛ ج٦٧ ، ص١٢٢ .

٢ . *تفسير قرطبي* ، ج ١٧ ، ص٨٩ ، ص٩٨ ؛ *بحار الأنوار* ، ج١٨ ، ص٣٩٥ ، ص٣٩٦ ؛ أيضاً ، ج٣٦ ، ص١٦٢ ؛ ج٣٧ ، ص ٣١٩ .

٣ . راجع : *اصول كافي* ، ج١ ، ص٤٤٣ ؛ *تفسير عياشي* ، ج٢ ، ص ٢٨٠ ؛ *تفسير نور الثقلين* ، ج٥ ، ص ١٥٠ ؛ *تفسير صافي* ، ج ٥ ، ٧ ص٨٧ .

والله أعلم بصوت أبي بكر تأنياً له ؛ إذ كان انية قف ، أن ربک يصلي ، ثم تلي هو الذي يصلي عليكم وملائكته ، ثم العرش الكريم وهو الكرسي موضع القدمين وهو في جوف العرش الرحماني كحلقةٍ بفلاةٍ وخلق بين هذين الفكلين البهاء وعمّر هذا الكرسي بالملائكة المدبّرات وأسكنه ميكائيل ونزلت إليه القدمان .

فالكلمة في العرش واحدة ؛ لأنّه أوّل عالم التركيب ، فظهر لها في الكرسي نسبتان لأنّه الفلك الثاني فانقسمت به الكلمة ، فعبر عنها بالقدمين كما ينقسم الكلام إلى أمرٍ ونهي ، وخبرٍ واستخبارٍ وإن كان واحاً .

واعلم ، أنّ نقوش الكائنات ، أزلاً وأبداً محفوظة مسطرة في البرازخ العلوية . قال تعالى : ﴿**وأوحي في كل سماء أمرها**﴾(فصّلت(٤١) : ١٢)

إذا علمت هذا ، فاعلم ، أنّه عمّره هذين الفلكين أعني العرش الرحماني ، والكرسي تحدث الاشكال الغريبة في عالم الكون والفساد عنها ، تكون خرق العوايد على الإطلاق وهي من الأشكال الغريبة ولا يعرف أصلها ، وأصلها هو هذا ؛ مثل المعجزات والكرامات . وهذا الفلكان قل من علا ما ذكرناه فيهما أو يصل إليه من أصحابنا أرباب الكشف والشهود إلاّ الأفراد وكذلك لحكماء وأرباب علم الهيئة والإرصاد ؛ لأنهم جعلوا المحيط الفلك الأطلس ولم يجعلوا وراءه فلكاً آخر مع أنّهم صرّحوا بأنّ الدليل اقتضى أن لا يكون الأفلاك أقلّ من تسعة ولم يمنعوا من جواز أكثر من ذلك ؛ أنّهم صرّحوا بأنّ الدليل اقتضى أن لا يكون الأفلاك أقلّ من تسعة ولم يمنعوا من جواز أكثر من ذلك ؛ لأنّه لم يقم برهان على منع جواز ذلك ، غير أنّه لمّا دل الرصد على هذه التسع ، حكموا بثبوتها ليس إلاّ وجوزوا أن يكون فوق ذلك من الأفلاك ما لا يعلمه إلاّ الله لأجل هذا إذا رأوا شكلاً غير معتاد في الطبيعة نسبوا ذلك إلى شكلٍ غريب ، حدث في الفلك عنه صدر هذا الذي هو غير معتادٍ ، لا يجري على قياس . ومن هذين الفلكين كانت الخواص والأشياء وهي الطبيعة المجهولة ، فيقال فيه : إنّه يفعل بالخاصة لجهلهم بالنسب الموجب لذلك الفعل ، فلو أدركوا حركة هذين الفلكين ، لم يصح لهم أن يجهلوا شيئاً في العالم ، ثم الفلك الأطلس وهو فلک البروج عند بعض المحققين وصاحب رسائل إخوان الصفا . واما عند كافة أرباب الهية ، فهو العرش المحيط بجميع الأجسام المحدّد للجهات .

والحق والله اعلم ، أنّ هذا هو فلک البروج وهو الفلک الأطلس أي الذي لا كوكب

فيه ؛ ولهذا سمّي بالأطلس وهو بالنسبة إلى الكرسي كنسبة الكرسي إلى العرش كحلقة في فلاة وخلق بين هذين الفلكين عالم الرفراف وهي المعارج العلي ، وفيه خلق عالم المثل الإنسانية وتسبيحهم «سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح»[1] وهم عالم الحجب وارخا الستور ويقال : إنّ في هذا الفلك مقام جبرئيل عليه السلام وعمّر هذا الفلك، بالمقسمات و الى هذا الفلك ينتهي علم علماء الرصد أكثرهم ، بل كلهم وهو عندهم العرش كما تقدم .

والبروج فيه مفروضات فهو مقسم على اثني عشر قسماً في كلّ قسم ملك من الملائكة ، ثم فلك الكواكب الثابتة أحدث الله تعالي هذا الفلك الرابع وخلق عالم الرضوان بينه وبين فلك البروج وسطحه أرض الجنة ومقعره يكون سقفاً للنار ؛ فإنّ ما في السموات من الصفوف الروحانية ، انتقاله في القيامة واتصاله بالجنّات ، وما فيها من الكدر وغلبة الصفات العنصرية المقتضة الكون والفساد ، تسيل وتنشق وتكون كما أخبر الله سبحانه ﴿**وردة كالدهان**﴾ (الرحمن (٥٥) : ٣٧) وتعود من جملة جهنم باتصالها بالعناصر التي تستحيل ناراً وزمهريراً كما ورد به الأخبار وحكم به الشهود . وكل سماء باب جهنم من أبواب جهنم له قوم خاص وكانت الجنّات ثمانية لكونها في سرح الفلك الثامن . وفي هذا الفلك اسكن الله «رضوان» خازن الجنان وهو من الملائكة الكرام ، وملائكة هذا الفلك يقال لهم ؛ التاليات ، والله تعالي لما خلق هذا الفلك رتب في مقعره ألف مرتبة وإحدى وعشرين مرتبة قسم الفلك عليها أقساماً كما قسم فلك البروج على اثني عشر قسماً .

فظهر لكل قسم كرة فظهرت اثنتا عشرة كرة وهو فلك الكواكب والسبعة السيارة التي تحته والأربعة الأركان وهذا الفلك هو فلك الحروف ، ومن هنا نشأت في عالم الأجسام .

وإذ قد عرفناك في هذه المقدمة جملة العالم ، فلنرجع إلى بيان أنّ المختار هو قول ابن عباس ، أنّ الكرسي هو العلم وقول بعض المحققين أنّ الكرسي هو فوق الأطلس ، أمّا ترجيح قوله ابن عباس (رضي الله عنه) فلأن مفهوم السماء لغةً كل ما علا . ومنه قيل لسقف البيت سماءً . فتكون العوالم العلوية كلّها بحسب هذا المفهوم ، سماء من عالم العقل والمثل و الأجسام لصدق مفهوم السماء عليها لغةً . ولما كان المحيط لجميع العوالم بهذا الإعتبار ، إنّما هو العلم ، ذهب ـ رضي الله عنه ـ إلى أنّ الكرسي هو العلم ؛ لأنّ العالم ، ينقسم على

١ . من دعاء له في *الصحيفة السجادية* ، ص ٢٥٠ ؛ *مصباح المتهجد* ، ص ٧٠ ؛ *الدعوات* ، ج ٦٠ ، ص ١٤٨ ؛ وأيضاً راجع : *اصول كافي* ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ ، ح ٤ .

علوي وسفلي . ومفهوم السماء يتناول العلويات ، ومفهوم الأرض يتناول السفليات ، وما ثم إلاّ علوٌ وسفلٌ أي سماء وأرض ، الآية ناصّة على أنّ الكرسيّ ، وسع السموات والأرض . وجميع العوالم ، داخلة في مفهوم السموات والأرض لغةً كما بيّناه ولا يحيط بجميع العوالم إلاّ العلم .

ينتج من هذا ، أنّ الكرسي هو العلم ، لأنّه لو جعلنا الكرسي هو الفلك الثامن على ما ذهب إليه الجمهور ، منع اعتبارنا مطلق مفهوم السماء وهو ما علا لكان محيطاً لجميع العوالم لصدق المفهوم عليها ، كما بيّن .

ومن جملة العوالم ، عالم العقول والأنوار المجردة ، فيكون الكرسي الذي هو جسم من الأجسام محيطاً بالعوالم العقلية والأنوار المجردة وهذا باطل محال ؛ لأن العرش وما حواه لا نسبة له إلى العوالم العقلية بل إلى روحٍ كامل الوقت لأنّ العرش ألف ألف مرة لو كان في بعض زواية من زوايا كامل الوقت ؛ ما أحسن به ، فلزم من جعلنا الكرسي الفلك الثامن مع اعتبارنا ، مطلق مفهوم السماء ، هذا محال وما استلزم المحال فهو محال .

ومن هذا المسلك ، يندفع قول من رد على ابن عباس خصوصاً من قال : بأنّ العلم لا يسع العلم ، فإنه كلام صدر ممن لا تحقيق له بمفهوم صفة العلم القديم الأزلي ، فإنّ العلم ، يسع العلم كشفاً وإحاطة ، فإنّ متعلق العلم القديم كل واجب وجائز أي ممكن ومستحيل وذات الله واجبة الوجود بالذات والصفات واجبة الوجود للذات ، فذاته وصفاته من متعلقات العلم . وبهذا التحقيق يندفع تأويل من أوّل كلامه ؛ إذ مبني الرد على المعترض والمأوّل على حرف واحد وهو اعتبار مفهوم السماء لغةً ، إذ المفهوم بهذا الإعتبار العوالم كلها لما بيّناه ومعلوم إلّا يحيط بها إلاّ العلم .

والتحقيق أنّ ما ذهب إليه ابن عباس من حيث التأويل ، يكون أكمل ومعلوم وما ذهب إليه الجمهور من أنّه الفلك الثامن أو بعض المحققين من أنّه العاشر من حيث التفسير والانتهاج على أساليب العرب في مخاطباتهم وفيما هو الأغلب في مجاري أفكارهم و ظنونهم يكون أقوي .

وأمّا ترجيح قول بعض المحققين من أنّ الكرسي هو العاشر الذي فوق الأطلس ، فهو مبني على حرف واحد . وهو أنّ البراهين الدالّة على أنّ الأفلاك تسعة ، لم تمنع الزيادة عليها وإنّما منعت النقصان عنها ، فمن اطّلع على ما يزيد عليها في الكمية ، فما اتى به من الزيادة

مقبول ؛ إذ العقل لا يدفعه والبرهان لا يمنعه والكشف والمشاهدة أحد الطرق الموصلة إلى معرفة المعلومات والحقائق المحتجبة والأستار وهو فوق طريق النظر والاستدلال فما اتى به هذا المحقق من طريق الكشف بالزيادة على التسع فمقبول ، لموافقته القواعد العقلية وعدم منافاته للأُصول الشرعية ، لما بيّنا من البراهين لا نمنع الزظيادة .

واعلم ، أنّه مما كشف لي حالة إلقا هذه الأحرف ، أنّ للّه كراسي بحسب كمية كليات العوالم ، والمبادئ الأول حضرات الأسماء ، فكرسي الكراسي في حضرات الأسماء والصفات هو العلم ، وفي دائرة الأفعال أيضاً كرسي ، وفي الملكوت الأعلى كذلك . و بالجملة ، ففي كل عالم من العوالم الكلية كرسي إلى أن ينتهي الأمر إلى عالم الملك و كرسيه على مقالة الجمهور هو الفلك الثامن ، فلك البروج وعلى قول بعض المحققين هو العاشر كما تقدم بيانه .

ومن هذا الكشف ، يبين لك أنّ ابن عباس ما أراد بتفسير الكرسي بالعلم إلاّ التنبيه على أنّ وراء كرسي ، عالم الملك كراسي ، نهايتها هو العلم ؛ إذ هو محيط بجميع الدوائر وهو كرسي الكراسي ، ولا يريد بذلك أنّ عالم الملك ، ليس له كرسي ، بل صدر منه ذلك على سبيل الإشارة إلى علماء الإشارة ولم ينص بالقول على الكرسي عالم الملك للعلم به عند الكافّة . وصدور مثل هذا عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ من بحر الفهم الذي رزقه في كتاب الله تعالى عزّ وجلّ بدعوته لهﷺ بذلك وما وقع لنا من الكشف في هذا المقام . أظن أنّي لم أسبق إليه ووراء هذا اللسان ، ألسنة أخرى أمسكنا عنها ، لإقتضاء الواردات الإمساك عن ذلك .

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

[قوله تعالي ﴿ولا يؤده حفظهما﴾]

﴿**ولا يؤده حفظهما**﴾ أي لا يقله ولا يشق عليه ، يقال : «أده يؤده أوداً» إذا أثقله . والهاء في قوله ﴿**ولا يؤده**﴾ راجعة إلى الله هكذا [1] قيل . ويجوز أن يكون راجعة إلى الكرسيّ ، فكان الكرسي على هذا التأويل ، معتمد السموات والأرض ومدرهما فيما يحدق فيهما من

---

۱ . هذا هو القول المشهور من المفسرين بل جُلّهم ولكن ذكر بعض المفسرين رجوع الضمير إلى الكرسي به نحو الاحتمال راجع : *مجمع البيان* ، ج۲ ، ص۶۲۹ ؛ *الجامع لاحكام القرآن* ، ج۳ ، ص۲۷۸ ؛ *تفسير شريف اللاهيجي* ، ج۱ ، ص۲۵۳ ؛ *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل* ، ج۲ ، ص۲۵۵ .
وامّا العلامة الطباطبايي فقد رجّح عوده الي الكرسي راجع *الميزان* ، ج۲ ، ص۳۳۶ .

تصاريف الأمور ؛ لكونه محيطاً بهما ومحدداً لجهاتها ومصدراً لأنواع الحركات والسكنات فيهما ومنشأً لنفوذ الأمور الربانية فيهما بالكون والفساد . هذا إذا حمل الكرسي على مقالة الجمهور وإن حمل على مقالة ابن عباس وغيره من المحققين ، بالأولى والأحرى ورجوع الهاء إلى الكرسي ، أبلغ في الدلالة على عظمة الله من رجوعها إليه عزّ وعلا ، لأنّه إذا كان خلق من خلقه بهذا الشأن والمثابة فذاته أولى .

[في معنى «العليّ»]

إعلم ، أنّ «العلي» فعيل من العالي وهو مشتق من «العلوّ» المقابل للسفل . وذلك إمّا في المحسوسة كالدّرج والمراقي ، وذلك يصلح للأجسام المرصوصة بعضها فوق بعض ، أمّا في الأمور المعقولة كرتب الموجودات المترتبة نوعاً من الترتيب العقلي . فكل ما له الفوقية في المكان ، فله العلوّ المكاني ، كما تعالى العرش أعلاً من الكرسي ، والسماء أعلى من الأرض ، والعلوّ لا يأتي إلّا في الأجسام ولمّا تقدس الحقّ سبحانه عن الجسمية نقدّس علواً عن أن يكون بهذا المعنى ، وكل ما له الفوقية في التربة والمكانة ، فله العلوّ في الرتبة والمكانة .

والتدريجات العقلية ، مفهومة كالتدريجات الحسّية قال الله تعالى ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات**﴾ (المجادله (٥٨) : ١١) ومعلوم أنّ هذه الرفعة ليست إلاّ كمال الدرجة ويقال لفلان : درجة عالية في العلم والزّهد وغير ذلك من المقامات ، ولا يراد به العلو في الجهة ، بل في الشرف ويقال : الخليفة أعلا من السلطان أي بالحشمة والعظمة . ويقال : فلأن من علية الناس أي من أشرافهم .

والحاصل أنّ التدريجات العقلية ، هي التفاوت الذي بين السبب والمسبب ، والعلة المعلول ، الفاعل والقابل ، والكامل والناقص ، فإذا قدر شيء هو سبب لشيءٍ ثان وذلك الثاني سبب لثالث ، والثالث لرابع إلى عشر درجات كالعقل الأول إلى العقل الفعّال العاشر الأخير . فالعاشر واقع في المرتبة الأخيرة ، فهو أسفل الأوّل ، والأوّل واقع في الدرجة الأولي من السببية ، فهو الأعلى ويكون الأوّل فوق الثاني ، فوقية حيثية المراتب العقلية ؛ فإذا فهم معنى التدريج العقلي ، فاعلم أنّ الموجودات لا يمكن قسمتها إلى درجات متفاوتة في الدرج العقلي إلاّ ويكون الحق تعالي في أعلا الدرجات من أقسامها حتى لايتوهم في خفي الأوهام ، ولا في لطيف الأفكار أن يكون فوقه درجة . وذلك هو «العلي» المطلق . وعلوّ

من سواه بالإضافة إلى مرتبة من هو دونه، فالموجودات إذا قسمت إلى ما هو سبب و إلى ما هو مسبب والسبب فوق المسبب فوقية بالرتبة. والفوقية المطلقة ليست إلّا المسبّب وهو الله. وأيضاً الموجودات إمّا واجب و إمّا ممكن، والواجب أعلا وأشرف من الممكن. فالحق سبحانه و تعالي هو الواجب لذاته، فكان أعلا من الكلّ. وأيضاً الموجود إمّا كامل مطلق وإمّا أن لا يكون كذلك والكامل على الإطلاق أعلا درجة ممن ليس كذلك، والله سبحانه وتعالى هو الكامل على الإطلاق، فكان أعلا من الكل.

وكذلك القول في كمال العلم والقدرة والحياة وكمال القدم والبقاء وكمال الرحمة وساير صفات الإكرام ونعوت الجلال. وثبت أنّه سبحانه أعلا من جميع الموجودات في المراتب العقلية، فهو العليّ المطلق المنزّه عن أنواع النقص.

فهذا ينبغي أن يفهم علوّه تعالي وفوقيته تعالي، فإنّ هذه الأسامي وضعت أولاً بالإضافة إلى إدراک البصر وهو درجة العوام.

ثمّ لمّا تنبه الخواص إلى إدراك البصيرة وجدوا بينها وبين الأبصار موازنات، استعاروا منها الألفاظ المطلقة، ففهمها الخواص وأنكرها العوام الذين لم يتجاوز إدراكهم عن الحواس الظاهرة التي هي رتبة البهائم، فلم يفهموا عظمةً إلاّ بالمساحة ولا علواً إلاّ بالمكان ولا فوقيةً إلاّ بالجهة.

وإذا فهم معني العلوّ بالمعنى الذي ذكرناه، فهم معنى استوائه على العرش؛ لأن العرش أعظم الأجسام الموجودات فخص بالذكر؛ لأنّه فوق جميع الأجسام فما فوقه بالرتبة كان فوق جميعها وهو كقول القائل، إنّه فوق السلطان تنبيهاً به على أنّه إذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذي هم دون السلطان والعبد، لا يتصور أن يكون علياً مطلقاً؛ إذ لا ينال درجةً إلاّ ويكون في الوجود ما هو فوقها.

نعم يتصور أن ينال درجةً لايكون في جنس الموجودات الممكنة من يفوقه فيها وهي درجة نبينا محمدﷺ لكنه قاصّ بالإضافة إلى العلوّ المطلق من وجهين: أحدهما: أنهما علوّ بالإضافة إلى بعض الموجودات، والآخر: أنّه علو بالإضافة إلى الوجود لا بطريق الموجوب والعليّ المطلق هوالذي له الفوقية مطلقاً بحسب الوجوب من غير إضافةٍ.

[في معنى «العظيم»]

وأمّا «العظيم» فهو اسم في أصل الوضع من موضوعات أسماء الأجسام كما يقال: جسم عظيمٌ وهذا الجسم أعظم من ذلك الجسم، إذا كان امتداد مساحته في الطول والعرض والعمق أكثر منه. ثم هو منقسم إلى عظيم يملأ العين، ويأخذ منها مأخذاً، وإلى ما لا يتصور أن يحيط بجميع أطرافه كالأرض والسماء، فإنّ الفيل عظيم ولكن البصر، قد يحيط بأطرافه، فهو عظيم بالإضافة إلى ما دونه.

وأمّا الأرض فلا يتصور أن يحيط البصر بأطرافها وكذلك السماء.

واعلم أنّ العظيم كما يكون بالزيادة في المقدار والحجمية، كذلك يكون في المعاني، في المقدار والحجمية، كذلك يكون في المعاني، يقال لمن كثر علمه: إنّه عظيم في العلم ولمن كثر ملكه: إنّه عظيم في الملك وكتب[1] رسول الله ﷺ إلى عظيم الروم وقال في صفة القرآن: ﴿**ولقد أتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم**﴾ (الحجر (١٥): ٨٧).

إذا عرفت هذا، فاعلم، أنّ العِظَم المطلق يكون في مدركات البصر وفي مدركات البصائر، فالعظم المطلق في مدركات البصر، هو المحيط بعالم الأجسام والمحدّد للجهات كلها، لعدم إحاطة البصر ببعض المخلوقات الداخلة في جهةٍ من جهاته كالأرض بالنسبة إلى الماء كنقطة الدائرة والماء مع الهواء كذلك والهواء مع النار كذلك والعناصر الأربع مع السماء الأولي، وكذلك والأولي في الثانية كذلك وهلمّ جراً إلى السماوات السبع والأرضون والسماوات السبع في الكرسي كحلقةٍ ملقاةٍ في فلاة. وبالجملة قد تكلّم الأصحاب الفكر وأرباب النظر في هيئة السموات والأرضون في مقادير الأجرام العلوية ومساحة الأرض ما يطلعک على عظم المدركات بالأبصار.

واما العِظَم الذي يتعلق بمدركات البصائر، فمن ذلك ما تحيط العقول لكنه حقيقته. ومنه ما تقصر عنه العقول، تنقسم إلى ما يتصور أن يحيط به بعض العقول وإن قصر عنه أكثرها، وإلى ما لا يتصور أن يحيط العقل أصلاً بكنه حقيقته. وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود جميع حدود العقل حتي لم يتصور الإحاطة بكنهه وذلک هو الله سبحانه

---

١. *سنن أبي داود*، ج٢، ص٥٠٦؛ *سنن الترمذي*، ج٤، ص١٦٨؛ *صحيح مسلم*، ج٥، ص١٦٤؛ *صحيح بخاري*، ج١، ص٦؛ ج٥، ص١٦٩؛ *مسند احمد*، ج١، ص٢٦٣؛ *مكاتيب الرسول*، ج٢، ص٣٩٠/١٦؛ ج٤، ص ٣٢١٢؛ *بحار الأنوار*، ج٢٠، ص٣٨٦.

وتعالي . وإذا أردت أن تترقّي إلى معرفة عظمة الله ، فلتنظر أوّلاً إلى ما في الأرض من عظائم المخلوقات ، فنري فيها ما يدهش لبّک ، ثم إذا نسبتها إلى أدني جزء من الأجزاء العلوية ، كان ذلك كلا نسبة وهلّم جراً إلى أن ينتهي إلى الكرسي والعرش . وإذا نسبت الأجسام بما حوت إلى عالم النفس كانت كنقطة الدائرة وكذلك عالم النفوس بالنسبة إلى القلوب والقلوب بالنسبة إلى الأرواح والأرواح بالنسبة إلى العقول وكل ذلک حقيراً بالنسبة إلى الجبروت الأعلا والجبروت الأعلا والملكوت وعالم الغيب والشهادة حقيراً بالنسبة إلى عظمة صفة من صفات الحقّ ؛ لأن جميع المخلوقات إذا نسبت إلى قدرة الله كانت حقيرة لإنها متناهية وقد رته غير متناهية ولا نسبه للمتناهي إلى غير المتناهي .

وبالجملة فكل عظيم يفرض لغير الله تعالي فهو ناقص وليس بعظيم مطلق ؛ لأنّه إنما يظهر بالإضافة إلى شيء من دون شيء سوى عظمة الله سبحانه ، فإن العظيم المطلق لا بطريق الإضافة .

واعلم أنّ الكلام على اسم «العلى والعظيم» وعلى حضراتهما من طريق البطون ، أعرضنا عنه صفحاً لاقتضاء الوارد الإمساك عن ذلك .

تلويح
[فى سبب شرافة آية الكرسي]

قيل : سبب شرف آية الكرسي وكونها سيدة آي القرآن ، أنّها تضمنت إحدي وعشرين إسماً لله وهي الله وهو الحي القيوم والضميران فيهما ؛ لإنهما صفتان يتحملان الضمير والهاء في «لا تأخذه سنة» والهاء في «له» والهاء في «عنده» والهاء في «بأذنه» والضمير في «يعلم» والهاء في «علمه» والضمير والهاء في «كرسيه» والهاء في «يؤوده» والهاء في «حفظهما» لأن الناس اختلفوا في المصدر كالفعل أولا . فهذا على أحد القولين وليس المشهور وهو «العلى العظيم» وضمائرهما .

[الحكمة فى كونها سيدة آي القرآن]

واعلم ، أنّ الحكمة في كون هذه الآية سيدة أي القرآن ومتعددة : منها : هذا الذي ذكروا ، منها : مشتملة على أمهات المسائل الإلهية منطوقاً وعلى سائر العلوم تضمناً

واستلزاماً كما لوحنا به من قبل؛ إذ منطوقها يدل على أنّه تعالي واحد في الإلهية، متصف بالحياة، واجب الوجود لذاته، موجد لغيره؛ إذ القيوم هو القائم بنفسه، المقيم لغيره، منزّه عن التحيز والحلول، مبرأً عن التغيير والزوال، لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلاّ من إذنه له، عالمٌ بالأشياء كلّها، جليها وخفيها، كليها وجزئيها، واسع الملك والقدرة، لا يؤوده شاق ولا يشغله شأن، متعال عما يدركه وهم ويحيط به فهم، ومفهومها يدل على كليات العلوم تضمناً والتزاماً ومن الحكم الدالة على أعظميتها، إنّه ابتدأ فيها بالإسم الأعظم واختتمت باسمه العظيم الذي مرجعه إلى كمال الذات والصفات.

ومن الحكم الباطنة الدالّة على أعظميتها، مما لا يطلع عليه إلاّ أكابر الدائرة وأفرادها وهي أنّها مشتملة على الأسفار الأربعة، إذ في التنبيه، كفاية لأهل الذوق والشهود، فيتطلبون التفضل بذوقهم وشهودهم وغيرهم لا تزيده العبارة إلاّ خفاً إذ استعدادهم ما يفي بهذا المقام.

فلنختم الكلام على هذه الآية الشريفة، حامدين على نعمه ومصلين على خاتم أنبيائه ورسله محمد الفاتح الخاتم مجمع الكمالات ومنبع الخيرات ونور أنوار العلويات والسفليات وآله وأصحابه ذوي النفحات القدسيات والكرامات الإلهيات. تم والحمد لله على إحسانه.

تمت الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه بكرة نهار الإثنين ثالث شهر رجب الفرد سنة إثنين وتسعين وثمانمائة بقلم العبد الفقير تاج الدين محمد بن حمزي بن زهرة الحسيني الفوعي حامداً ومصلياً ومسلماً على محمد وآله وأصحابه والحمد لله وحده.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی